1011
روايات عبير
سلسلة قصص
دار النحاس

ها قد أتت المتاعب

ديبي ماكومبر

Rewity.com
Dalyai

روايات عبير
Dalyai

ها قد أتت المتاعب

ديبي ماكومبر

«سهرتي مع مبتدئة...» هكذا بدأت القصة كلها، بعد أن كتب كريمر ادامس مقالاً انتقادياً. المبتدئة، هي ماريان سمبسون، صاحبة عمود في *السياتل ريفيو* اليومية، المنافسة *لسياتل صنْ*، التي يملكها والدها.

ادركت ماريان، على الرغم من غضبها، أن ما جاء على لسان كريمر، الصحافي القديم، صحيح في أمر واحد، لقد حصلت على كل شيء في حياتها بسهولة.

يجب أن تشق طريقها بنفسها، وأرادت أن تكتسب احترام كريمر لها ليس ذلك فقط، لقد أرادت أن تكتسب أيضاً، أكثر من احترامه...

ولهذا تركت عملها، وتخلت عن شقتها الفاخرة، واستغنت عن رصيدها في المصرف...

كانت مثل سندريلا في طريق الرجوع، وكان كريمر أميرها المتردد...

Rewity.com

«سوف أترك عملي في الصحيفة!»

«لماذا؟» سألها كريمر: «أنت تبالغين يا ماريان، ليس هناك من داعٍ للتصرف على هذا النحو.»

«هنالك دواعٍ كثيرة. ما كتبته عني هو صحيح... لو كنت صحافية بنصف المقدرة التي ظننت أني أملكها، لما احتجت إلى مساعدة والدي كي أحصل على عمل. لقد حان الوقت كي اتصرف على سجيتي، فإما أن أغرق أو أعوم.»

«اصغي إليّ، هلا فعلت؟ أنت تقفزين إلى أعماق مجهولة ولا تعرفين فن العوم... والمنقذ في عطلة!»

ديبي ماكومبر

كاتبة أميركية تقيم في ولاية واشنطن. عندها أربعة أولاد في سن المراهقة. ابتدأت مهنتها الناجحة في سن الطفولة، عندما نسخ شقيقها مذكراتها ،وباعها... ومنذ ذلك الحين، اكتسبت العديد من القراء!

وتقول إنها كتبت أول رواية عندما وقعت في هوى الروايات العاطفية... وأرادت أن تدلو بدلوها.

RIWAYAT ABIR 1011

ها قد أتت المتاعب

ديبي ما كومبر

مؤسسة النحاس
لتوزيع الصحف والمطبوعات
بيروت. لبنان

الفصل الأول

«ماريان سمبسون من نيويورك، على ما أظن؟»

حملقت ماريان بالرجل الواقف أمامها في الناحية الثانية من قسم الاستعلامات في محطة الاذاعة. تجاهلت سخريته عن قصد، مُبقية تلك النظرة القاسية في عينيها الزرقاوين.

كريمر ادامس ـ أكثر الصحافيين شعبية في سياتل ـ لم يكن يشبه أبداً صورة الرجل المحترف التي كانت تتصدّر العمود اليومي الذي كان يكتبه. عوضاً عن ذلك فقد كان يشبه شخصية تلفزيونية مشهورة جداً، حتى أنه كان يرتدي معطفاً مجعداً، معطفاً يبدو وكأنه استعمله للنوم مدة أسبوع كامل.

قال مضيفاً: «أو هل عليّ أن أناديك ديب؟»

«آنسه سمبسون تكفي.» قالت بلهجة مؤدبة. كان الصحافي المنافس وقحاً وجريئاً وأفضل صحافي كانت ماريان قد قرأت له من قبل. كانت ماريان صحافية جيدة أيضاً، أو على الأقل كانت تناضل لكي تصبح جيدة. والدها، الذي كان يملك السياتل ديغيو واثنتي عشرة صحيفة يومية في كل أنحاء العالم، ارتأى أن يُعطي ابنته هذه الفرصة في حياتها في جريدة السياتل. كانت تعمل بكدّ حتى تُثبت وجودها. ربما بجهد أكثر من اللازم. عندها بدأت المتاعب.

«إذاً كيف حال القلب؟» سأل كريمر ملتقطاً مجلة

ومتصفحاً الأوراق المطوية من الأعلى. «الا يزال ينزف حسب أفكارك التحررية؟»

تجاهلت ماريان السؤال، أزاحت معطفها الصوفي الأزرق، طوته بتأنٍ ووضعته على كرسي. «قلبي بحالة جيدة، شكراً لك.»

القى بنفسه على مقعد محدثاً صوتاً خافتاً ثم وضع رجله اليمنى على اليسرى.

جلست ماريان مستقيمة وصامتة على الكرسي المقابل له والتقت عيناهما. كل ما أرادت أن تعرف عن كريمر ادامس كان واضحاً على وجهه. الخطوط العميقة على فكه أخبرتها كم هو عنيد. كانت عيناه داكنتي اللون، وتنمان من الذكاء والفطنة. أما فمه فهو قصة بحدّ ذاتها. لقد بدا كأنه يتصارع مع نفسه قبل أن يُظهر أبتسامة كما أن أية حركة تنُمّ عن سعادة هي مخالفة لطبيعته. لم يكن كريمر يبتسم الآن ولم يكن في نية ماريان أن تخبره كم أخافها ذلك. لا بد أن بعض العاطفة قد ظهر في عينيها حتى قال فجأة: «أنت من بدأ ذلك، أتعلمين؟»

كانت ماريان مُدركة ذلك، لكن هذه العداوة بينهما قد بدأت عن غير قصد، على الأقل من جهتها هي. في ذلك اليوم، عندما نشرت السيانل صنّ الجريدة المنافسة، في عددها الصباحي مقالاً لكريمر عن الحلول لمشكلة السكن في المدينة، نشرت الريفيو مقالاً لماريان عن الموضوع نفسه. كان مقال كريمر ساخراً بينما كان مقال ماريان جاداً. كان خطأها أنها قالت إن بعض الناس في المدينة يجدون الوضع مسلياً، وقد لعنت كل الذين تصرفوا على هذا

النحو من اللامسؤولية وأشارت إلى أن هذه المسألة لا تقبل المزاح.

بدا ذلك وكأنها قرأت مقال كريمر وقررت تأنيبه شخصياً على موقفه من ولاية واشنطن.

بعد يومين، هاجم كريمر ماريان بسخرية من خلال مقاله، سائلاً عما تعرفه هذه الآنسة الأرستقراطية عن مشكلة الايجارات. طبعاً، لا حاجة لمبتدئة مثلها للتفكير بسقف تعيش تحته. وأكثر من ذلك فقد جعل اقتراحاتها تبدو صبيانية وغير عملية.

مقالها الثاني ظهر في المساء ذاته وكان موجهاً إلى المراسلين المتفائلين الذين يقدّرون أنفسهم أكثر من اللازم.

انتقم كريمر مرّة ثانية، وجاشت ماريان. من الواضح أنها هي التي يجب أن تضع حداً لهذه المهزلة. لقد املت أن تنتهي هذه العداوة بعدم الرد على آخر هجوم لكريمر، لكن كان عليها أن تعلم بشكل أفضل. بعد ساعة من صدور مقالها عن روح المشاركة، طلبت منها محطة اذاعة محلية، أن تكون ضيفة الحلقة. وافقت ماريان على الفور وهي متحمّسة لهذه الدعوة. ولم تعرف إلا متأخرة أن ادامس كريمر كان مدعواً للمقابلة أيضاً. كانت الحلقة عن نقاش بين مشاهير، واقع كانت ماريان تجهله بفرح.

فتح الباب ودخلت امرأة طويلة القامة ذات شعر داكن إلى غرفة الاستقبال في المحطة. «أنا ليز والترز.» قالت لهما وخطت خطوتين في الغرفة: «أنا أُنتج هذا البرنامج الاخباري. اعتقد أنكما تعرفان بعضكما بعضاً؟»

«كالعائلة الواحدة.» همس كريمر وعلى وجهه تلك الابتسامة العريضة الساخرة.

«لقد تعارفنا منذ خمس دقائق لا أكثر.» أضافت ماريان ناقدة تعليقه بجفاف.

«حسناً.» قالت ليز من دون أن ترفع رأسها عن اللوح الصغير في يدها: «إذاً تقدما من هنا فسوف نجلسكما في غرفة المراقبة.»

من خلال حديثها الموجز مع مضيف البرنامج، براين كامبل، علمت ماريان أن الحديث يسجل يوم الخميس مساءً ولا يذاع على الهواء حتى مساء الأحد.

بعدما جلسوا في غرفة المراقبة، سحبت ماريان صفحتين مطبوعتين من حقيبتها. حتى لا يبدو مختلفاً، سحب كريمر دفتر ملاحظات صغيراً من جيب معطفه المجعد.

بدأ براين كامبل البرنامج بمقدمة موجزة ومُعلناً عن موضوع السهرة: «عدد سكان منطقة سياتل الذي يَكبُرُ يوماً بعد يوم.» وجه عندها المذياع إلى ماريان التي كان عليها أن تتكلم أولاً.

مُجبرةً نفسها على الاسترخاء، أخذت ماريان نفساً عميقاً وأبعدت شعرها الكستنائي إلى ما وراء أذنها وبدأت بالكلام. تدبّرت أمرها جيداً بابقاء صوتها خافتاً وواضحاً قدر الإمكان.

قالت وهي ترمي نظرة سريعة على أوراقها: «الحق يُقال، لقد صُنّفت سياتل من أفضل المناطق تطوراً في الولايات المتحدة لعدة سنوات. هل من عجب في أن يتقدم سكان

كاليفورنيا جموعاً يَجذُبهم التقدم الاقتصادي وإغراء المياه العذبة الصافية؟ لسياتل جانب، شخصية ومستوى.»

ما أن تعمقت في موضوعها حتى أصبح صوتها أكثر ثقة وإقناعاً. لقد أحبت سياتل منذ أن زارتها اليومين في طريقها إلى هاواي. كانت الرحلة هدية من أهلها لمناسبة تخرجها من الجامعة. عادت بعدها إلى نيويورك مليئة بالحماس ليس بسبب الجزر التي تجلب السيّاح بل بسبب النظرة الخاطفة التي القتها على مدينة الزمرّد.

في البدء، كانت قد قررت العودة إلى منطقة شمالي غربي المحيط الهادي. لكن عوضاً عن ذلك، قبلت وظيفة محررة قصص واقعية في إحدى دور النشر التابعة لوالدها في نيويورك؛ كانت مشغولة جداً والفرص المتاحة لسفرها محدودة. تلك الوظيفة دامت حوالي السنة ونصف السنة. إن ماريان أحبت ذلك العمل فقد قررت أن تكتب مقالات في مواضيع أخرى مستعملة مهاراتها الصحافية.

يبدو وكأن صاموئيل سمبسون قد أحس بتململها عندما تحدث عن وظيفة شاغرة في الـ سياتل ريفيو، وهي جريدة تصدر منذ مدة بعيدة، عندما التقيا في نانتوكيت خلال أسبوع عيد العمل. كانت ماريان قد لينت قلبه بالأسئلة، وتذكرت أكثر من مرة كم انها أحبت سياتل. رسم والدها ابتسامة على ثغره وهو يمضغ عقب السيغار في فمه، ونظر نحو زوجته البالغة من العمر سبعة وعشرين عاماً قبل أن يُمسك بالهاتف. بعد اتصال لم يدم أكثر من ثلاث دقائق، أعلن صاموئيل أن الوظيفة اصبحت من نصيبها. حزمت ماريان أمتعتها خلال أسبوعين واتجهت نحو الغرب.

«في النهاية، أود أن أُذكّر جمهورنا أنه لا مجال للعودة إلى الوراء الآن.» قالت ماريان: «تبدو سياتل الآن وكأنها جوهرة مصقولة في شمالي غربي الهادي الجميل. سياتل، مدينة الزمرد، تنتظر الآن تقدماً وازدهاراً أكبر.»

وضعت أوراقها جانباً وابتسمت باتجاه المضيف، سعيدة بأنها قد انتهت. انتظرت برويّة بينما نظر كريمر إليها بتجهّم ثم دسّ دفتر ملاحظاته في جيبه. على ما يبدو فقد قرر أن يتجاوز الملاحظات المكتوبة فيه.

تقدم كريمر نحو المذياع، بعد أن أعلن عنه براين والقى بنظرة تجهم على ماريان ثم هز رأسه ببطء.

«أعطني فرصة يا آنسة سمبسون!» قال كريمر صارخاً: «الم يلاحظ أحد أنها تمطر هنا؟ هل تعلمون أنّه حتى وقت قريب، إذا لم تمطر خلال أسبوع في سياتل كنا نضحي بعذراء؟ ولسوء الحظ لقد نفدت العذارى منذ وصولك إلى هذه المدينة.»

حاولت ماريان بصعوبة أن تخفي دهشتها.

«حسب رأيك لماذا بقيت سياتل بهذا الجمال؟» قال كريمر مضيفاً: «لماذا لا نعاني من التلوث مثل باقي المدن في جنوبي كاليفورنيا والأماكن الأخرى؟ يبدو أنك تظنين بأن على سياتل أن تفتح ذراعيها لاستقبال العالم على بابها غير الملوث. نصيحتي لك ولأمثالك أن تعودوا من حيث أتيتم. لا نريدكم أن تحولوا سياتل إلى لوس أنجلوس أو نيويورك أخرى.»

مع أنّه تكلم بصورة عامة، إلاّ أن كلمته بدت وكأنها موجّهة لها وحدها. في الواقع كان يقول

لها بأن تحزم حقيبتها وتعود إلى أهلها، حيث تنتمي.

بعد انتهاء كريمر، أعطي الإثنان دقيقتين للرد.

«بعض ما قلته صحيح.» أقرت ماريان وهي تصرّ أسنانها. «لكن لا يمكنك أن تعيد التقدم إلى الوراء. فقط المجنون...» موجهة كلامها له: «قد يمنع العائلات من الاستقرار في ولاية واشنطن. يمكنك المناقشة حتى تفقد صوتك، لكن ذلك لا يساعدك. سوف يتضاعف عدد السكان في هذه المنطقة خلال السنوات القليلة المقبلة شئت ذلك أم أبيت.»

«قد يكون ذلك صحيحاً، لكن ذلك لا يعني أن علي أن أبقى مكتوف اليدين، منتظراً أن يحدث ذلك. في الحقيقة، أنا أنوي أن أقوم بكل ما في وسعي لأضع حداً له. نحن في سياتل عندنا طريقة حياة، علينا حمايتها وواجب تجاه جيل المستقبل. إذا استمر التزايد على هذه الحال، سوف تصبح مدارسنا مكتظة، أسعار منازلنا مرتفعة جداً حتى لا يعود في استطاعة أحد أن يتحمل بدلات الايجار إلاّ أولئك الذين يأتون من ولايات أخرى، وهذا إذا وُجِدَ المنزل. إذا كان هذا ما تريدين، حسناً، تمتعي بجهلكِ...»

انفجرت ماريان قائلة: «إذاً ماذا تقترح؟ قطع الطرق بالحجارة؟»

«قد تكون بداية جيدة.» قال كريمر ساخراً: «يجب القيام بشيء قبل أن تتحول هذه المدينة إلى كارثة مدنية.»

«هل تظن نفسك قادراً على منع التقدم بيد واحدة؟»

«إني واثقٌ تماماً من أنني سأحاول.»

«هذا سخيف.»

«كان هذا نقاش المشاهير لهذه السهرة.» قال براين كامبل بسرعة قاطعاً أي نقاش: «انضموا إلينا في الأسبوع المقبل مع ضيفينا عضوي المجلس البلدي نيك فريزر وروبرت هول.»

«كان ذلك رائعاً.» قال المضيف، مبادراً اياهما بابتسامة حماسية: «شكراً لكما.»

«لقد دفنت رأسك في التراب.» أحست ماريان أنها كانت مجبرة على اعلامه بذلك مع أنها كانت تعلم أن ذلك لن يفيد. وضعت ملاحظاتها في حقيبتها وأقفلتها بسرعة وكأنها أرادت القول بأن الموضوع قد انتهى الآن.

«قد تكونين على حق.» أضاف كريمر بابتسامة: «لكن على الأقل فإن هذا التراب خالٍ من التلوث. إذا كان عندك طريقة خاصة فسوف يلوّث سريعاً بـ ...»

«عندي طريقتي الخاصة؟ أنت تجعل الأمر يبدو وكأنني المسؤولة الوحيدة عن تزايد نسبة السكان.»

«أنت وأمثالك مسؤولون.»

«حسناً، أعذرني.» همست بسخرية وأَحْنَت رأسها بأدب لبراين كامبل وتوجهت عائدة إلى غرفة الاستقبال حيث تركت معطفها. كان كريمر يتبعها خطوة بخطوة محاولاً ازعاجها.

«أنا لا أعذُرك، ديب.»

فقالت بغضب: «طلبت منك أن تستعمل اسمي وهو ليس ديب.»

اتكأ كريمر بكسلٍ على الباب عاقداً ذراعيه على صدره فيما كانت تلتقط معطفها الصوفي.

أدخلت ماريان ذراعيها في كمي المعطف وكادت أن تقتلع الأزرار بسبب تعجلها للرحيل. طريقته في الوقوف هناك هدأت من غضبها قليلاً.

«وشيء آخر...» تمتمت.

«أتعنين أن هناك، المزيد؟»

«أنت على حق. ذاك الموضوع عن العذارى كان فظاً ولا يُغْتفر! أنا... أنا توقعت منك الأفضل.»

«إن ما قلته صحيح.»

«كيف لك أن تعلم؟»

ابتسم تلك الابتسامة التي لا تتعب، مُغْضِباً ايّاها أكثر.

«أليس عندك شيء أهم من ملاحقتي لتقوم به؟» سألته وهي تغادر الغرفة.

«ليس بالتحديد، لكن في الحقيقة، كنت أتوق للتعرف إليك.»

تلهفت ماريان على هذه المقابلة بعد أن أفاقت من صدمتها، عندما علمت أن كريمر هو من سيواجهها على الهواء. قبل وقت طويل من وصولها إلى محطة الإذاعة كانت قد قررت أن تُخبر كريمر كم هي معجبة بعمله. هذه العداوة بينهما تبدو سخيفة. لم تكن تقصد أن تتحرش به ولكانت سوّت الأوضاع ونقّت الأجواء لو لم يتابع مهاجمتها عند أول فرصة تسنح له.

«طبعاً أردت مقابلتي. فاهانتي وجهاً لوجه مسلية أكثر.»

ضحك عندما سمع ما قالته وقد ذُهلت ماريان كم بدا مرحاً وودوداً.

«هيا، يا سمبسون، لا تأخذي الأشياء على محمل شخصي. اعترفي. لقد قضينا وقتاً ممتعاً ونحن نسخر واحدنا من الآخر.»

لم تقل ماريان شيئاً لفترة من الوقت. في الحقيقة لقد كان على حق بعض الشيء. لقد تمتعت بحديثهما مع انها لم تكن لتعترف به سابقاً. لم تكن حتى واثقة من أنها تريد أن تعترف به الآن.

«اعترفي.» قال ملاطفاً وتلك الابتسامة لا تزال على وجهه.

«لم يكن مسلياً تماماً.» أجابت مترددة: «بل كان... مفيداً.»

«هذا ما ظننت.» وضع يديه في جيبيه وبدا سعيداً بنفسه.

ألقت عليه ماريان نظرة خاطفة. كانت جاذبية الرجل من النوع القاسي. سحره الظاهر ـ لم تكن ماريان واثقة من أن سِحْر كانت الكلمة المناسبة ـ وجهه ذو الخطوط الواضحة وبنيانه القوي. لقد فوجئت عندما اكتشفت أنه لم يكن طويل القامة بقدر ما توقعت. في الواقع كان طوله أقل من ست أقدام.

«والدك هو المسؤول عن اعطائك هذه الوظيفة.» قال ذلك مُقاطعاً شرودها.

«ماذا؟» صرخت غاضبة: «لا بدّ أنك تمزح!» في بعض الأحيان كانت تقضي اثنتي عشرة ساعة منكبة فوق العقل الالكتروني تحاول كتابة عمود مفيدٍ ومسلٍ. لقد عَملت جاهدة خلال الأسابيع الأربعة الماضية منذ أن انضمت إلى السيانل ريفيو. كانت تريد اثبات مقدرتها، ليس لنفسها فقط بل لزملائها ايضاً.

«اذاً ليس من السهل أن يكون الانسان صحافياً؟»

«لم أقل ذلك.» أجابت بحرارة. إن ماريان كانت تجهد نفسها في هذا العمل أكثر من أي شيء آخر. إبنة صامونيل سمبسون أم لا، فهي ما زالت تحت الاختبار، ورئيس التحرير يدقق في كل كتاباتها.

«أتساءل إذا كنت تقومين بأي شيء من دون موافقة والدك.»

«أتساءل إذا كنت دائماً بهذه القساوة.»

ضحك ضحكة صغيرة لسؤالها وأجاب: «تقريباً دائماً. وكما قلت لا تأخذيه على محمل شخصي.»

توجهت ماريان، متأبطة حقيبتها الجلدية، نحو المخرج حيث كان كريمر يقف وقالت: «اسمح لي، من فضلك.»

«دائماً مهذبة.» قال كريمر بهمس قبل أن يفسح لها المجال لتمر.

تبعها كريمر إلى المصعد، مزعجاً اياها أكثر. أحسّت ماريان بوجوده وهذا ما أربكها. كانت تعلم أنها جذابة. كانت شفتاها مليئتين بعض الشيء وعيناها مستديرتين. كان شعرها أحمر وهاجاً طيلة فترة صباها، لكنه تغير إلى اللون الخمري عندما بلغت العشرين من عمرها. لطالما كرهت ماريان لون شعرها وكثرة تشعثه لم يكن لأحد من عائلتها هذا اللون أو تلك التجاعيد. كان شعر أمها ذهبياً لامعاً وشعر والدها كستنائياً داكناً. حتى اخوتها الأصغر سناً تملصوا من هذا القدر. لو لم يكن عندها تلك الجبهة العالية وعينا آل سمبسون الزرقاوان لقيل انها ليست ابنتهم وانهم تبنوها. لكن ذلك لم يكن صحيحاً وقد اكتشفت

خلال حياتها كم يمكن للعوامل الوراثية أن تكون ظالمة.

وصل المصعد، ودخله كريمر وماريان. اتكأ كريمر إلى جدار المصعد ـ يبدو أنه دائماً على هذه الحالة، لاحظت ماريان. اتكأ وحملق متفحصاً في معالم وجهها مرة ثانية. وشعرت وكأن عينيه تداعبانها.

«هلا تكرمت وتوقفت؟»

«ماذا؟»

«عن التفرس في.»

«إنني فضولي.»

«عمّ؟» هي أيضاً كانت فضولية لمعرفة كل شيء عنه، لكنها كانت أكثر تهذيباً من أن تفعل مثله.

«أردت فقط أن أرى إذا كان ذلك الدم الأزرق بادياً.»

«آه، حقاً!»

«حقاً.» أجاب: «أتعلمين، أنت تسحرينني، يا سمبسون. هل أكلتِ؟»

رقص قلب ماريان فرحاً عند سماعها السؤال. كان يبدو وكأنه يُمهد الطريق لدعوتها إلى العشاء. لسوء الحظ لم تكن لتثق بهذا الرجل. أي شيء تقوله أو تفعله قد يظهر في المقالة التي سيكتبها.

«عندي يخنة ايرلندية تغلي في المنزل.» قالت هامسة رافضة الدعوة قبل أن يقدّمها.

«عظيم! أنا أحب اليخنة.»

فتحت ماريان فمها لتقول له إنه ليس عندها أية نية في دعوته إلى منزلها. ليس بعد تلك الأشياء التي قالها عنها في مقالته. لكن عندما التفتت لتقول له ذلك التقت عيناهما. كانت

عيناه عميقتين وداكنتين وتقريباً... لم تكن واثقة تماماً، لكنها ظنت أنها رأت بريقاً خافتاً من الاعجاب. كان يبدو وكأنه يتوقع أن ترفضه.

وجدت ماريان نفسها تبتسم، مع أن ذلك كان ضد مبادئها وكانت تعلم أنها سوف تندم على ذلك طيلة حياتها.

«شقتي في شارع سبرينغ.» قالت هامسةً.

«حسن. سوف أتبعك.»

أشاحت ماريان نظرها عنه وهي تُحِسُّ ببعض الحزن والاحراج: «لم آتِ بسيارة.»

«هل ينتظرك السائق؟» سألها وفي صوته نبرة سخرية ودّية.

«استقللت سيارة أجرة.» قالت له وهي تشيح نظرها عنه: «إنها طريقة حياة في منهاتن وأنا غير معتادة على التعامل مع السيارات. لذلك فأنا لا أملك واحدة.» توقعت أن يعلق على الموضوع لكنها كانت شاكرة لأنه لم يفعل.

«سأوصلك إذاً.»

كان قد أوقف سيارته وهي من نوع سيدان قديمة، قرب المدخل. انتظرت ماريان، في مواجهة اتجاه هواء اواخر أيلول، بينما كان كريمر ينظف لها المقعد الأمامي في السيارة.

اندسّت داخل السيارة، سعيدة بكونها محميّة من البرد. خلال ثانيتين لاحظت أن كريمر يعتني بسيارته تماماً مثلما يعامل معطفه. كانت المقاعد الخلفية والأمامية للسيارة مليئة بالأقداح الورقية، الجرائد القديمة وبعض القصص، لاحظت ماريان أنها قصص بوليسية. اذاً، كريمر ادامس،

العظيم يقرأ القصص البوليسية. ولاحظت أن منفضة السيارة مليئة بالقطع النقدية الصغيرة.

بينما كانت ماريان تبحث عن حزام المقعد، ركض كريمر من أمام السيارة، صعد إليها وأدار المحرك. «آمل أن يكون هناك مكان لإيقاف السيارة في سبرينغ.»

طمأنته ماريان بسرعة قائلة: «لا تخشى شيئاً، عندي خادم خصوصي.»

تمتم كريمر بعض الكلمات. ولو أنصتت ماريان أكثر لسمعت ما قال، لكنها فضلت أن لا تعلم.

أدار كريمر الهواء الساخن فأحست ماريان بالدفء بسرعة. «أعلميني عندما يصبح الهواء حاراً جداً بالنسبة لك.»

«شكراً، إنه جيد الآن.»

«حارة.» كانت الكلمة التي تصف علاقتهما. منذ البدء كانت ماريان قد زجّت نفسها في عملية حرق بالمياه بينها وبين كريمر، مياه كانت تزداد حرارة كلما ظهر مقال جديد.

برغم ذلك، فقد كانت ماريان سعيدة لأن الفرصة سمحت لها بتخطّي كل مشكلاتهما، لأنها، على الرغم من كل ما جرى، فقد كانت معجبة جداً بكتابات كريمر.

تحدثا مطولاً حتى وصلا إلى المجمع الفخم حيث كانت تقيم.

فتح ماكس، البواب، باب السيارة من جهتها وبدت على وجهه ابتسامة عندما رآها. عندما خرج كريمر من جهة السائق راقبت ماريان كيف أن ابتسامة ماكس انقلبت إلى

عبوس، وكأنه لم يكن متأكداً من ملاءمة اصطحاب رجل مثله لسيدة محترمة مثلها.

«ماكس، هذا السيد ادامس من السيائل صن.»

«كريمر ادامس؟» تغيّرت ملامح ماكس على الفور. «لقد قرأت مقالاتك بشغف، يا سيد ادامس. لقد أغضبت أوّل لارسون جداً الشهر الماضي. حسب ما سمعت، فقد أجبره مقالك على الاستقالة من المجلس البلدي.»

كان كريمر قد أغضب ماريان أيضاً، لكنها امتنعت عن ذكر ذلك. كانت تشكّ بأن يكون ماكس قد قرأ مقالها أو حتى أنه كان يعلم بأن كريمر كان يقصدها هي في مقاله أول الشهر.

«هلا اهتممت بسيارة السيد ادامس، يا ماكس؟»

«في الحال، يا آنسة سمبسون.»

تبع كريمر ماريان، واضعاً يديه في جيبيه، إلى داخل المنزل المزخرف بإفراط بكل تلك الثريات المصنوعة من الكريستال وتلك النافورة ذات الفقاقيع. «تقع شقتي في الطابق الحادي عشر.» قالت له وهي تضغط على زر المصعد.

فقال مازحاً: «ليست شقة السطح؟»

أجابت ماريان بابتسامة ضعيفة، وهي تركّز اهتمامها على اخراج مفاتيحها من حقيبتها وتحاول اخفاء توتر اعصابها المفاجيء. كان قلبها يخفق بقوة بين اضلاعها. الآن وقد أصبح كريمر على بابها، تساءلت كيف سمحت لذلك بالحدوث. بعد كل الذي قاله عنها، وكان أقله، الآنسة الأرستقراطية، الآنسة مبتدئة، الآنسة دلوعة أبيها،

أحست أنها قد تساهلت كثيراً معه عندما قبلت بصحبته.

«هل أنت مستعدة لتغيير رأيك؟» سألها وكأنه يقرأ أفكارها.

«لا، طبعاً لا.» قالت كاذبة.

لقد لاحظت، وأملت أن لا ينتبه كريمر، بأن يدها كانت ترتجف وهي تضع المفتاح في الباب.

اتجهت نحو مفتاح النور عندما دخلا الشقة الفسيحة. لحقها كريمر وبدا التعجب على وجهه حين رأى المفروشات المصنوعة من الكروم والجلد الأبيض، خاصة أنه كانت هناك مدفأة.

«منزلك جميل.» قال وهو يجول بنظره من حوله.

ظنّت أنها لحظت بعض السخرية في صوته. ثم قررت أن السخرية هي كل ما يمكن أن تتوقعه طيلة السهرة ويجب أن تعتاد ذلك.

«سآخذ معطفك.» كان يرتدي معطفه بشغف لدرجة أنه قد يقرر أكله أيضاً.

كم دُهشت ماريان عندما أعطاها اياه وتوجّه إلى المدفأة ورفع صورة للعائلة عن رفّ الموقد. كانت الصورة قد أُخذت منذ وقت طويل في فصل الصيف، عندما كانوا كلهم يبحرون من مارتاز ڤاينيارد. كانت ماريان تنظر في الهواء وتضحك على اخوتها الصغار. لم تكن تلك أجمل صورها طبعاً. كان الهواء قد نثر شعرها الأحمر، ولونه كان يبدو أشد تركيزاً بمواجهة الشراع الأبيض.

«الشابان اللذان يظهران معي هما أخواي. أمي وأبي يقفان قرب الدفة.»

حدّق كريمر في الصورة لعدة ثوانٍ. «اذن أنت الصهباء الوحيدة.»

«كم هو لطيف منك أن تذكر ذلك.»

«هيا، أنت محظوظة. فأنا أحب الصهباوات.» قال ذلك بابتسامة لم تشعر ماريان معها بالاهانة.

«سأتفقّد اليخنة.» قالت، بعد أن علقت معطفيهما. أسرعت إلى المطبخ ورفعت الغطاء عن القدر. رائحة لحم الخروف والخضار كانت تملأ المنزل.

«لم تكوني تمزحين إذاً؟» سألها كريمر مُستغرباً.

«أمزح؟ بأي شأن؟»

«اليخنة الإيرلندية.»

«لا. لقد وضعتها على النار هذا الصباح قبل ذهابي إلى العمل. فأنا أخصص يوماً لهذه الوجبات التي تحتاج وقتاً طويلاً.» بعد أن عاشت بمفردها مدة سنتين أصبحت ماريان طباخة ماهرة. عندما استأجرت أول شقة قررت أن تطبخ في المنزل بعد أن ملت من تناول الطعام في المقاهي. بعد عدة شهور، اكتشفت بعض الوصفات الممتازة لوجبات سهلة. لم يكن والدها يريد أن ينشر كتاب فن الطبخ عن هذه الوصفات، لكنها تدبرت أمرها حتى تأكل جيداً.

«اعتقدت أن اليخنة كانت حجة حتى لا تتناولي العشاء معي. لم أكن أعلم ما ينتظرني.»

«بعض الشراب الأبيض؟» سألت متجاهلة ملاحظته.

«نعم، شكراً.»

أحضرت ماريان الزجاجة من البرّاد وفتحتها بخبرة.

ملأت كأسين لكلاهما، أعطت لكريمر كأسه ووضعت الزجاجة على طاولة زجاجية وجلست على احدى الأرائك الجلدية، واضعة رجلها تحتها.

جلس كريمر على الطرف الآخر واضعاً مرفقه على ركبتيه وكأنّه في بيته وقال: «هل أستطيع وأتجرأ طالباً منك أن نشرب نخباً؟»

«تفضل.»

«نخب سياتل.» قال والتقت نظراته المؤذية بنظراتها: «فلتبقى إلى الأبد غير ملوثة.» اقترب ولامس طرف كأسه بكأسها.

«نخب سياتل.» أجابت ماريان: «المدينة الأكثر سحراً على الساحل الغربي.»

«لكن، أرجوكِ، لا تدعي احداً يعلم.» همس كريمر محاولاً اقناعها بلطف.

«لا أستطيع أن أعدك.» همست هي بالمقابل.

كانت ماريان قد علمت مؤخراً أن شراب ولاية واشنطن كان يحصل بسرعة على شهرة عالمية لجودته. يبدو أن التربة الغنية البركانية هي مفتاح السر.

تحدثا عن زراعة العنب لبعض الوقت ثم استمر الحديث بعد ذلك وهما يتبادلان الأفكار ويقارنان التجارب. كانت ماريان مندهشة لكثرة تمتعها بصحبة هذا الرجل الذي اعتبرته عدواً. في الحقيقة، كان لديهما عدة أشياء مشتركة. ربما كانت تتمتع بصحبته لأنها وحيدة، لكنها لم تظن أن ذلك كان صحيحاً تماماً. كانت مشغولة جداً بالعمل لدرجة أنه لم يكن عندها الوقت للاجتماعيات،

كانت ترى بعض العاملين معها في الجريدة في المناسبات، لكن لم يكن عندها الوقت الكافي للقيام بصداقات.

بعد كأس ثانية من الشراب والشعور بالدفء والاسترخاء، كانت ماريان مستعدّة للاعتراف كم كانت منعزلة منذ أن وصلت إلى سياتل.

«لقد مضى وقت طويل من دون أن أكون على موعد حقيقي مع أحدهم.»

«يبدو أنّ هناك نقصاً في الرجال الذين ينتمون إلى جمعية خريجي كليات ايڤي في سياتل.»

ضحكت ضحكة صبيانية وهزت رأسها: «على الأقل أبي لا يرسل لي رجالاً صالحين لأتعرف إليهم. لقد أحببت العيش في نيويورك، لا تسيء فهمي، لكن كل مرّة كنت ألتفت فيها حولي أجد رجلاً يعرّف عن نفسه ويقول لي إن أبي قد أعطاه رقم هاتفي. أنت أول رجل أتناول العشاء معه من دون أن يكون أبي قد اختاره لي منذ أن انتقلت للعيش وحدي.»

«أكره أن أقول ذلك، يا جميلتي، لكن عندي انطباع بأن والدك قد يجعلهم يعتقلونني ما أن ينظر إليّ.»

«هذا ليس بصحيح أبداً.» أجابت ماريان: «والدي ليس شخصاً متكبراً، فقط... فقط إن حدث لك وقابلته اخلع معطفك، موافق؟»

«المعطف؟»

«إنه يبدو وكأنك تستعمله للنوم. كل ما تحتاج هو قبعة وقطعة ورق مع كلمة صحافة مُخربشة وملصقة على حافتها

سوف تبدو وكأنك تعمل للبلانيت في متروبوليس.

«أكره أن أقطع عليك أوهامك، يا جميلتي، لكنني لست من خريجي كليات إيڤي ولست سوبرمان.»

«أوه، اللعنة.» قالت وهي تطقطق أصابعها. كانت واهنة لدرجة أنها لم تستطع تذكيره بأن لا يناديها جميلتي.

«إذن كم عمرك؟» أراد كريمر أن يعلم. «واحد وعشرون؟»

«ثلاثة. وأنت؟»

«مئة وثلاثة بالمقارنة.»

لم تكن ماريان واثقة مما عناه، لكنها لم تعلّق على ذلك أيضاً. إنه لشعور جميل بأن يكون للانسان شخص يتكلم معه، شخص يميل إليها أو على الأقل قريب من أن يكون كذلك.

«إذا كنت لا تريد اخباري عن سنّك، على الأقل أخبرني بعض المعلومات عن حياتك.»

«صدقيني، حياتي ليست شيقة كحياتك.»

«مع ذلك أريد سماعها.»

«حسناً.» وأخذ نفساً عميقاً. «كانت عائلتي فقيرة جداً. اختفى والدي حين كنت في العاشرة واضطرت أمي للقيام بعملين لإعالتنا. هل كوّنت صورة؟»

«نعم.» قالت مترددة: «ماذا عن النساء؟»

«لي تاريخ طويل ومجيد معهنّ.»

«إني لا أمزح، يا كريمر.»

«هل تظنين أنني أمزح؟»

«أنت لست متزوجاً.»

«ليس على حدّ علمي.»

«لمَ لا؟»

هز كتفيه كأن الموضوع غير مهم. «لا وقت لذلك. كدت أن أقوم بذلك مرّة، لكن أهلها لم يعتبروا أن عملي ككاتب رفيع المستوى كفاية. حاول والدها أن يوظفني.»

«ماذا حدث؟»

«لا شيء. أخبرتها أنني سوف أعمل للجريدة، فقالت إن كنت حقاً أحبها فعلي أن أقبل بعرض والدها السخي. لم آخذ وقتاً طويلاً لأقرر. أظن أنها كانت على حق، لم أكن أحبها.»

لقد بدا غير مبالٍ، كما وكأن كل ما حصل لم يكلفه دقيقة ندم، لكن النظر اليه أوحى لماريان بالنقيض. كان كريمر مجروحاً في الصميم. كل كلمة ساخرة كتبها كانت تقول ذلك.

فكرت ماريان ذات مساء وبعد عدة أيام، انها تمتعت بالسهرة مع كريمر. فقد أكلا ونوّه كريمر باليخنة التي قدّمتها حتى أنها تفاخرت بإطرائه. شربا القهوة بالحليب بينما أوقد كريمر النار. جلسا قبالة المدفأة وتكلما طوال ساعات. أخبرها أكثر عن عائلته الكبيرة، عن اخوته وأخواته السبع، كيف شق طريقه خلال السنتين في الجامعة، لكنه أُجبِرَ على التخلي عن دراسته عندما أصبح غير قادر على تحمّل مصاريفها. على مرّ الأيام كان ممتناً لما حصل لأن ذلك القرار قد أوصله إلى أوّل عمل له في الجريدة. وكما يقولون، الباقي أصبح من الماضي.

«تبدين بمزاج جيد.» قالت لها مساعدتها، كارول ريڤرسايد، عندما مرت قرب مكتب ماريان بعد ظهر اليوم نفسه. كانت كارول قصيرة القامة، ووجهها ذو تعابير

محببة. لقد أحبتها ماريان منذ أن التقتا.

«إنني في مزاج رائع.» قالت ماريان مبتسمة. لقد وعد كريمر بأن يدعوها للعشاء خارج المنزل رداً على دعوتها. لم يحدّدا تاريخاً لكنها تتوقع أن يتصل بها هذا المساء.

«في هذه الحالة، أنا لا أحب أن أكون ناقلة الأخبار السيئة، لكن على أحدهم أن يخبرك وقد طُلِبَ مني ذلك.»

«يخبرني؟ ماذا؟» اختلست ماريان نظرة إلى المكتب الكبير ولاحظت العيون العديدة التي تحملق إليها، وقد بدا العطف عليها.

«ما الذي يجري؟» سألت ماريان:

حرّكت كارول ذراعها من خلف ظهرها ولاحظت ماريان أنها كانت تحمل النسخة الصباحية، من الجريدة المنافسة.

«إنه مقال كريمر ادامس.» قالت كارول بنعومة.

«ما... ماذا كتب هذه المرّة؟»

«حسناً.» الأفضل أن تبدأ بالعنوان «سهرتي مع المبتدئة.»

الفصل الثاني

كانت ماريان غاضبة جداً لدرجة انها لم تستطع الوقوف من دون حراك. جابت الغرفة وكأنها نمر محجوز في قفص، كان عقلها يلعن، بأن يموت كريمر ادامس، شر ميتة، وببطء شديد.

رن جرس الهاتف وذهبت إلى المطبخ لتردّ عليه. التقطته بسرعة حتى أنها كادت أن تنتزعه من الحائط. نادراً ما كانت تسمح لنفسها بالوصول إلى هذه الدرجة من الغضب، لكن ما زاد غضبها هو الشعور المؤلم بالخيانة. «نعم.» أجابت بقوة.

«أنا ماكس، السيد ادامس هنا، هل أدعه يدخل؟» لبرهة كانت ماريان مصدومة ولم تستطع الكلام. هذا الرجل جريء، هذا ما فكرت به.

«آنسة سمبسون؟»

لقد استغرقت ماريان حوالي الثانية لتقرر.

«دعه يصعد.» قالت بخيبة أمل.

تابعت ماريان المراوحة في الغرفة ويداها على خصرها. كانت ستقول للرجل في كلمات واثقة رأيها بازدواجيته وخداعه، يبدو أنه ظن من خلال السهرة التي قضياها معاً أنها انسانة رقيقة، متسامحة وانها قد تغضّ النظر عن غشّه. حسناً، إذا كان هذا اعتقاده، فقد كانت ماريان تتطلّع إلى تصحيح هذا الوضع.

دقّ جرس الباب والتفتت لتحملق به بعينين ضيقتين. مُتمنيةً أن يخفف قلبها من خفقانه السريع، أخذت نفساً عميقاً، ثم مشت بهدوء نحو الباب وفتحته.

«مرحباً، ماريان.» قال كريمر وعيناه تلتقيان بعينيها.

بقيت واقفة في مكانها، مُقلدةً طريقته بالاتكاء على الباب وقاطعة الطريق عليه.

«هل يمكنني الدخول؟» سألها بمرارة.

«لم أقرّر بعد.» كان يرتدي المعطف ذاته الذي كان يبدو أكثر قِدَماً من قبل.

«أظن انك قرأت المقال؟» همس رافعاً حاجباً إلى فوق.

«قرأته؟» قالت بصوت عالٍ: «طبعاً قرأته، ويبدو أن الكل قرأه في سياتل. هل حقاً اعتقدت انني قد أستطيع تمالك نفسي بعد ذلك؟ أو ما هي نواياك ـ اذلالي و... وجعلي مهزلة بين الناس؟» بسبابتها عدة مرات طعنته في صدره القاسي. «أو كنت تظن أن أحداً لن يعرف أنني المقصودة فقط، لأنك لم تستعمل اسمي.»

«أظنّ انك غاضبة؟» رفع حاجبيه كأنه أراد الاقتراح بأنها تبالغ.

«غاضبة! غاضبة؟ هذا لا يصف نصف شعوري، أيها الوغد!» ولأنها ترعرعت في عائلة محترمة لم تستطع نعته بأوصاف أخرى. إنها فكرت بكلمات أخرى لكنها لم تستطع قولها. من دون شك لكان كريمر فرح بسماع تلك الكلمات ونشرها في مقاله المقبل.

بغضب، أمسكت بربطة عنقه وجرته إلى داخل الشقة. «يمكنك الدخول الآن.»

«شكراً، أظنّ انني سأفعل.» قال كريمر باستياء. مَلَسَ ربطة عنقه، مما لفت نظرها إلى عضلات صدره القوية. الشيء الأخير الذي كانت ماريان تريد ملاحظته هو كم كان يبدو قوياً وأبعدت نظرها عنه.

بما انه كان من المستحيل أن تبقى واقفة، فقد تابعت مراوحتها في الغرفة. مع بداية الشعور بالغضب لم تكن تعلم ماذا ستقول له، كيف تجعله يلاحظ ضخامة ما فعل. فجأة، توقفت في آخر غرفة الجلوس ووجهت له إصبع اتهام. «أنت جريء.»

«ما قلته كان صحيحاً.» أجابها كريمر وهو يواجهها. «لو كلّفت نفسك عناء قراءة المقال حتى نهايته، بموضوعية، لكنت لاحظت أن هناك عدّة جمل إطرائية.»

«مثالية، متفائلة...» قالت متذكرة ما كتبه، المقاطع التي جعلتها تشعر بالإهانة: «لقد جعلتني أبدو مثل ماري بوبنز!»

«غير مدلعة ورقيقة.» أضاف كريمر: «وسيدة حقيقية.»

«لقد أخبرت كل المدينة أنني وحيدة.» قالت صارخة، رافضة أن تعيد تلك الكلمات.

«لم أقل انك وحيدة.» أجاب كريمر بإلحاح، واثقاً من نفسه ومسيطراً على أعصابه: «لقد قلت إنك بعيدة عن أهلك للمرة أولى.»

دفعته من صدره مرّة أخرى وهي تتابع حديثها: «لكنك جعلتني أبدو وكأنني بحاجة لأن أكون في حضانة!»

«لم ألمّح إلى أي شيء من هذا القبيل وقد ذكرت كم أنت طبّاخة ماهرة.»

«هل علي أن أكون شاكرة لذلك؟ على ما أنكر لقد قلت،

إنني كنت خبيرة في المطبخ، وكأنك كنت مذهولاً بأنني أعرف الفرق بين وعاء السمكة الزجاجي والفرن.»

«إنك تضخمين الأمور.»

لم تكد تسمع ماريان ما قال فيما أضافت: «التعليق على كوني لا أحسّ بالأمان كان اسوأ ما قلت. تريد الأمان أيها الوغد، انك تنظر إليه. أنا أحسّ بالأمان وكأن قدميّ مغلفتان بالاسمنت.» لمعت في وجهه، عيناها الغاضبتان وهي تنظر نحو حذائها.

لم يقم كريمر بأية حركة ثم قال: «إنك تعملين ضعف ما يعمله الآخرون في الريڤيو، وضعف عدد الساعات. إنك تجهدين نفسك لأن عندك شيئاً تريدين اثباته.»

تبع كلماته سكوت تام. كل ما قاله كان صحيحاً. لقد عملت بجهد وكانت تحاول اثبات وجودها، وكريمر يعلم ذلك. فلم يكن عندها الخبرة للعمل في جريدة.

«هل استفقت ذات صباح، وقرّرت أن تلعب دور سيغموند فرويد في حياتي؟» صرخت به: «هل يمكنني سؤالك، من أعطاك هذا الحق؟»

«ما قلته صحيح، يا ماريان. أنا لا أتوقع أن تعترفي بذلك أمامي، لكن لو كنت صادقة فسوف تعترفين به لنفسك. عائلتك هي أفضل ما تملكين وهي أضعف رابط. من كل الذي قرأته عن عائلة سمبسون، انهم اناس طيبون، لكنهم خدعوكِ في شيء مهم.»

«ماذا عنيت بذلك بالتحديد؟» سألت بحدة وهي مستعدة لتدافع عن والدها حتى الموت، إذا دعت الحاجة. كيف يجرؤ هذا الوقح المجادل على إهانة عائلتها؟

«لن تعلمي أبداً حتى لو كنت صحافية ممتازة كيفية الحصول على وظيفة كهذه من دون مساعدة والدك. لقد قدم لك هذه الوظيفة وفي الوقت نفسه غشّك بالمكافأة.»

فتحت ماريان فمها لتناقشه لكنها لم تستطع. بدل ذلك، أخفضت نظرها وهي تدرك أنه لا يمكنها أن تقول شيئاً لتدافع عن نفسها. منذ وصولها إلى السياتل ريڤيو، علمت ماريان أن كارول هي الشخص المناسب والتي يحق لها أن تكتب عن الشؤون المحلية وليس هي. مع ذلك فقد ساندتها كارول بطريقة محبّة ورائعة.

«لم يكن في نيتي اهانتك أو اهانة عائلتك.» أضاف كريمر.

«اذاً لماذا كتبت تلك المقالة؟» سألته بصوت يرتجف: «هل حقاً ظننت أنني سوف أحسّ بالمديح من خلالها؟»

«لست واثقاً تماماً. في المقابل، أظن أنني كنت أريد وضع النقاط على الحروف. على الأقل كانت هذه هي نيّتي في الأصل. لاحظت أنني كتبت أكثر من اللازم، لكن القطعة لم تكن أبداً بقصد السخرية منك. إن صدقت ذلك أم لم تصدقي، لقد أثّرت بي كثيراً تلك الليلة.»

«هل علي أن أكون شاكرة لأنك اخترت أن تشكرني في العلن؟»

«لا.» أجاب بحدة. مرّة أخرى، مرّر أصابعه بقوّة في شعره. لم يتحرك. لكن ماريان فعلت... كان ذلك مسلياً بما انها كانت تحلم بالسعادة التي ستحصل عليها منذ عدّة دقائق وهي ترى هذا الرجل يتألم.

«دعوتي لنفسي على العشاء تلك الليلة كانت جرأة.» قال

معترفاً. «انزلقت الكلمات قبل أن أنتبه لما كنت أقول. لا أعلم من الذي فوجيء أكثر أنا أم أنت. حاولت أن أتصرف كما لو أنني أعلم ماذا أفعل. في الحقيقة اكتشفت انني معجب بك. ثقي بي، لم أكن أنوي أبداً أن أكلمك بطريقة وقحة عندما وصلت إلى محطة الاذاعة. كنت دائماً أظن أنك فتاة غنية ومدلّلة، لكنني كنت مخطئاً. منذ أن نشرت بعض المقالات، أحسست أنه من العدل أن أضع النقاط على الحروف. مع ذلك وكمبتدئة لست أبداً بسيئة.»

«لماذا كل مرّة تمدحني فيها أحسّ وكأن سكيناً مسلطة على كتفي؟»

«نحن حتماً لا نملك شيئاً مشتركاً.» تابع كريمر مفكراً: «لقد تعلمت كل ما أعرف في الشوارع، وليس في مدرسة خاصة باهظة التكاليف. أشك بأن هناك أي موضوع سياسي يمكننا الاتفاق عليه. أنت تقفين على جهة من السياج وأنا أقف بعيداً في الجهة الأخرى. إننا متباعدان لأبعد الحدود، اجتماعياً ومالياً، وأي شيء آخر أستطيع ذكره. ليس عندنا حتى سبب للحديث مع بعضنا، ومع ذلك جلسنا وتقاسمنا وجبة طعام وتحدثنا لساعات.»

«لقد أحسست وكأنك وجهت إهانة لي في هذه المقالة.»

«أعلم. أنا أعتذر، مع أن الخطأ قد حصل. أظن أنني لم ألاحظ ان ذلك سوف يشعرك بالمهانة. لم تكن هذه نيتي قط.» أطلق زفرة قوية وتوقف قليلاً كما لو أنه يستجمع أفكاره. «بعد أن غادرت منزلك، أحسست أنني سعيد. لا أستطيع تذكر وقت آخر كنت سعيداً فيه لهذه الدرجة. أنت فاتنة ومسلية...»

«كان يمكنك قول ذلك في مقالتك؟»

«لقد قلته، لكن على ما يبدو كنت غاضبة جداً لدرجة أنك لم تلاحظيه. عندما وصلت إلى المنزل تلك الليلة، لم أستطع النوم. كلما حاولت أن أغفو أتذكر كلماتك وأبدأ بالابتسام قبل أن أنتبه إلى نفسي. أخيراً، قررت عدم النوم وجلست إلى مكتبي، وبدأت الكتابة. خرجت الكلمات مني بسرعة. الحسنة التي أثرت بي، كانت نزاهتك. لست مدّعية، وكلّما فكرت في ذلك، كلما لاحظت كم كنت مغشوشة.»

«وقررت أنه من واجبك لفت النظر إلى ذلك... حتى يقرأه الكل في المدينة؟»

«لا، لم يكن. لذلك أنا هنا. أنا أعترف انني تخطيت الحدود وجئت لأعتذر.»

«إذا كنت تقول لي ذلك لكي أشعر بتحسّن، فأنت مخطىء.» كانت كرامتها تصحو بطريقة ما، لكن يجب أن يقدم بعض الاعتذارات الأخرى.

«لكي أكون صادقاً، لم أفكر بالمقالة مرّة ثانية من بعد ظهر اليوم، عندما قال لي أحد العاملين معي في الجريدة إنني تخطيت الحدود هذه المرّة. إذا كنت آمل في عقد صلح معك فلقد فشلت المهمة. قال هذا الصديق إنني قد أهاجم من قبل امرأة عندها قرون وعلي أن أبحث عن غطاء.»

«إنها الحقيقة!»

«سامحيني، يا ماريان. لقد كنت وقحاً لدرجة نشر هذه المقالة. يمكنك أن تلعنيني إلى يوم القيامة في مقالتك المقبلة. أنا أعدك بجدية أنني لن أكتب كلمة واحدة عنك بعد الآن.»

«لا تكن متواضعاً هكذا ـ فذلك لا يناسبك.» همست وهي تعضّ على شفتها السفلى: «عدا عن ذلك، لن أكون قادرة على طبع أي نقض.»

«لمَ لا؟»

«لا أنوي الاستمرار في العمل للريڤيو بعد الآن، أو على الأقل حتى بعد غد.» خطرت لها الفكرة فجأة، فهي لم تكن تعلم ماذا كانت ستقول له.

السكوت الذي تبع كلامها كان مشحوناً بالغضب. «ماذا تعنين؟»

«لا تتصرف باستغراب. سوف أترك الجريدة.»

«لماذا؟» كان كريمر قد بقي واقفاً طوال الحديث، لكنه بدا فجأة وكأنه بحاجة للجلوس. انحنى قليلاً في المقعد، كان وجهه شاحباً وقاسياً. «أنت تبالغين! ليس هناك من حاجة للقيام بشيء صارم.»

«هناك كل الحاجة. أنت قلتها بنفسك. قلت لي إنني كنت مغشوشة وبأنني لو كنت بنصف مهارة صحافية جيدة لكنت حصلت على الوظيفة من دون مساعدة أبي. إنني أوافقك الرأي.»

هزّ رأسه بمرارة.

تابعت قائلة: «انه لمن المؤلم الاعتراف بهذا، خاصة لك. إنك على حق. عائلتي رائعة لكنها لم تسمح لي قط بأن أقع على وجهي. كارول ريڤرسايد هي الفتاة التي يحق لها أن تكتب ذلك العمود. إنها تعمل في الجريدة منذ خمسة أعوام... وأنا منذ خمس دقائق. لكن لأن اسمي هو سمبسون، ولأن أبي قد أجرى مخابرة هاتفية واحدة، حصلت أنا على

العمل. كارول كانت مغشوشة. كان عليها أن تغضب. لكن بخلاف ذلك، كانت حنونة وخدومة.» جلست ماريان قرب كريمر ومدّت رجليها على الطاولة. «وقد يكون ما حصل لي أسوأ بكثير مما حصل لكارول نتيجة تسلّمي هذه الوظيفة؛ طيلة حياتي، كان والدي يقول لي إن بإمكاني أن أكون ما أريد وهو يتدبر الأمر لي.»

«الاستقالة من الريڤيو لن يغير شيئاً.» قال كريمر مناقشاً: «هيا، يا ماريان، إنك تأخذين الأمر بجدية.»

«لا شيء من الذي تقول قد يغير لي رأيي.» أعلمته ماريان بحزم: «لقد حان الوقت لأن أحرّر نفسي وأن أسبح أو أغرق بمفردي.»

كان تفكيرها يسبقها، محاولاً ترتيب التغيرات القادمة. للمرة أولى بعد قراءتها لمقالة كريمر، أحست ببداية التشويق. رمقت المنزل حولها بنظرة سريعة فيما راودتها فكرة أخرى: «طبيعي، عليّ أن أنتقل من هذا المنزل.»

«هل أنت عائدة إلى نيويورك؟»

«يا إلهي، لا!» أجابت، مغتطبة بالحنان الذي سمعته في صوته: «أنا أحب سياتل.»

«اسمعيني، لو سمحت. أنت تقفزين في اعماق مجهولة. أنت لا تجيدين السباحة والمنقذ ليس في عطلة.»

لم تكد تسمع ماريان ما قاله كريمر لأنه لم يعجبها الذي قاله. تماماً إنه رجل يوقد ناراً ثم يعود ليطفىء شرارتها. الشيء الوحيد الذي علي الاهتمام به الآن هو الحصول على عمل آخر، أعلنت ماريان: «عمل مؤقت، طبعاً. سوف أتابع الكتابة، لكن لا أظن أنني سوف

أستطيع إعالة نفسي من ذلك، في البداية، على الأقل.»

«إذا كنت مصرّة على جنونك، يمكنك دائماً العمل في صحيفة الصن.»

ألغت ماريان هذه الفكرة بحركة من رأسها. «سأبدو كالخائنة.»

«أظنّ انك على حقّ.» عبس رافعاً حاجبيه.

«أتعلم ماذا سأفعل أيضاً؟» عدّلت جلستها واضعة رجليها تحتها. «عندي رصيد في المصرف يعطيني فائدة جيدة كل شهر. هذا ما كنت استعمله لدفع فواتيري. أنت وأنا نعلم أنني لا أستطيع دفع مصاريف مثل هذا المنزل مما أنتج من الجريدة. لن أمسّ هذه الفوائد بعد الآن وسوف أعيش مما أربح من عملي.»

«لو كنت مكانك لما فعلت ذلك في الحال.»

«لمَ لا؟»

«لقد قلت لتوك إنك ستستقيلين من عملك.» بدا كريمر منزعجاً وأضاف: «يبدو وكأنني تسبّبت بانهيار عالمك، واعتبر نفسي مسؤولاً بعض الشيء.»

«أين تسكن؟»

«كابيتول هيل. اسمعي، إذا كنت جادة في موضوع الانتقال من هذا المنزل، فعليك أن تفكري مع أي نوع من الجيرة يمكنك العيش. سياتل مدينة رائعة، لا تسيئي فهمي، لكن، مثل بقية المدن، عندنا مشكلاتنا.» بدا كريمر مترددا: «آني، لا أشعر بارتياح حيال هذا الموضوع.»

«لم يدعوني أحد آني من قبل.» ضحكت عيناها وهي تنظر إليه. «كم تدفع بدل ايجار؟»

تمتم شيئاً غير مسموع، ويداه مدفونتان في جيبيّ بنطاله ثم ذكر رقماً يساوي ثلث المبلغ الذي تدفعه ماريان كبدل ايجار لشقتها.

«إنّه معقول جداً.»

لمع بريق المفاجأة في عينيه، وابتسمت ماريان مرّة أخرى: «إذا كنت مهتماً في ايجاد منزل لي في حي مناسب، فاختر لي أنت واحداً. أي مكان، لا يهم. لكن تذكر أنك أنت من وضعني في هذا المأزق.»

«لا تذكريننّي.» قال كريمر وهو متجهّم.

«قد لا أكون قدّرت ما قلته عني في مقالتك.» قالت ماريان ببطء: «لكنني بدأت أظن أن أشياء جيدة سوف تتأتّى منه.»

«أنا بدأت أظنّ أنه يجب أن أجُرّ إلى أقرب شجرة وأُشنَق.» قال كريمر مشاكساً.

«مرحباً.» اندست ماريان في المقعد المقابل لكريمر في الغريسي سبون المُسمّى مامز بليس. ابتسمت وهي تشعر وكأنها طفل في مغامرة شيقة. ربما كانت تخرج من النهاية العميقة التي أخبرها عنها كريمر في اليوم السابق. ربما، لكنها كانت تشكّ في ذلك. كل شيء بدا صحيحاً لدرجة غير معقولة.

إلا أن فكرة العيش على نفقتها ـ من المال الذي تكسبه من عملها، عمل حصلت عليه بمؤهلاتها ـ علقت في ذهنها، وأنتها الأفكار بزخم. تستطيع أن تعمل في النهار وتكتب في الليل.

«هل فعلت ذلك؟»

«لقد سلمت إشعاوي في الصباح.» قالت وهي تمدّ يدها لالتقاط لائحة الطعام. كان كريمر قد أصرّ على دعوتها لتناول غداء متأخر واقترح الغريسي سبون ذات اللافتة التي كتب عليها مأكولات منزلية بضوء النيون الخافت. كان عندها انطباع بأنه يأكل هناك بانتظام.

«تكلمت مع رئيس التحرير في الصباح وأخبرته أنني سأترك العمل.»

«لا أظنّ أنّه تقبّل ذلك بلطف.» تمتم كريمر وهو يرفع كوب من القهوة، نصف الممتلىء إلى فمه. كان عابساً منذ اللحظة أولى التي دخلت فيها إلى المطعم. كان عندها شعور بأنه نفس العبوس الذي ترك به المنزل الليلة الماضية لكنه الآن أعمق بقليل.

«لم يكن لاري غاضباً كثيراً، لكنني أظن أن اقتراحي بأنّ تتولى كارول ريفرساید كتابة العمود لم تعجبه، لأنه قال لي، إنه هو الذي يعطي الترقيات ولست أنا مهما كان اسمي أو عائلتي.»

رشف كريمر قليلاً من القهوة وابتسم: «أراهن على انه قد يفرح بالحصول على رأسي لو استطاع ذلك، وبصراحة، أنا لا ألومه.»

«لا تخف، لم أنكر اسمك أو أن عمودك هو الذي أدى إلى اتخاذ هذا القرار.»

كانت ماريان تشك بأن كريمر قد سمع ما قالت.

«أنا أندم على كتابتي لهذه المقالة في كل دقيقة تمر. هل أنت متأكدة انه لا يمكنني إقناعك بتغيير رأيك؟»

«أنا متأكدة.»

تنهد وهزّ رأسه: «كيف يسير صيد الوظائف؟»

أتت النادلة بسرعة ووضعت كوب القهوة امام ماريان. بحثت عن دفتر صغير في جيب مئزرها الزهري وقالت: «هل أنتما جاهزان للطلب؟»

«سوف آخذ سندويش لحم حبش من دون خضار، صودا للريجيم وقليلاً من سلطة البطاطا.» قالت ماريان مبتسمة وهي تعيد لها اللائحة.

«لا تخشي شيئاً، فنحن لا نقدم الخضار النيئة هنا.» أجابت وهي تدوّن طلبها.

«سوف آخذ التشيلي، يا باربرا.» قال كريمر. أومأت النادلة برأسها وابتعدت. «كنت أسألك كيف يسير صيد الوظائف؟» قال كريمر مذكراً ماريان بسؤاله.

«لقد وجدت واحدة!»

«أين؟ وما هو نوع العمل؟ وكم ستقبضين؟»

«لقد بدأت تشبه والدي.»

«لقد بدأت أشعر مثل والدك. آني، أنت طفلة في الغابة. أنت لا تعرفين ما أنت مُقدمة عليه. الله وحده يعلم كم حاولت أن أقنعك بالعدول عن رأيك، لكنك رفضت الاستماع إليّ. وبما أنك تقولين ذلك، فأنا المسؤول عن كل ذلك.»

«كفّ عن لوم نفسك.» مدت ماريان يدها لتتناول كوباً من الماء. «أنا حقاً ممتنة... ثق بي. لم أظن أبداً أنني سوف أقول ذلك. لكن الذي كتبته كان صحيحاً. بإهانتي، أعطيتني الحافز لأكوّن اسماً لنفسي من دون مساعدة والدي و...»

أغمض عينيه وقال: «فقط أجيبي على السؤال.»

«آه، بشأن الوظيفة. إنها في... شركة خدمات. يبدو وكأن الأمر سينجح. في الواقع، لم أكن أظن أن عندي املاً في الحصول على الوظيفة وذلك لأنني لا أملك الخبرة، لكنهم أخذوا ذلك بعين الإعتبار. إنها شركة جديدة ولا يمكنهم دفع رواتب عالية. الكل يبدو ودوداً ومتعاوناً. العلة الوحيدة تكمن في الراتب وفي أنني لن أعمل ساعات كثيرة في البدء. في الواقع المال أقل بكثير من الذي كنت أكسبه في الجريدة. لكنني أتوقع أن أبيع مقالين قريباً. سوف أتدبّر أمري عندما أتعلم أن أقتصد.»

«بكم أقل من الجريدة؟»

«إن أخبرتك، سوف تغضب.» عبوسه أخبرها أنه سوف يغضب أكثر إن لم تخبره. من الطريقة التي كان يحملق بها فيها، علمت ماريان أنه فقد صبره. تمتمت ماريان بالمبلغ ثم خفضت نظرها عنه.

«لن تقبلي بهذا العمل.» قال كريمر بصرامة.

«بلى، إنه أفضل شيء قد أقوم به الآن. عدا ذلك فهو مؤقت. ليس من السهل ايجاد عمل، أنت تعلم ذلك. لقد اتصلت بخمس عشرة شركة، اليوم. لم تبد واحدة منها اهتماماً بشهادتي الجامعية في التاريخ الأميركي واللغة الإنكليزية. أردت أن أجد عملاً حيث يمكنني استعمال مهاراتي في الكتابة، لكن ذلك لم يحدث، فقبلت بهذه الوظيفة.»

«آني، لن يمكنك العيش بهذا القدر القليل من المال.»

«أنا أدرك ذلك. عندي لائحة بالصحف المحلية وسوف أتصل بها. أظن أنني سوف أتدبّر أمري بين الكتابة وعملي.»

«ما هو بالتحديد نوع العمل الذي ستقومين به؟» سألها كريمر.

«التنظيف.» تمتمت بين أسنانها.

«ماذا قلت؟»

«سأعمل في شركة أستأجر خادمة.»

«يا إلهي، أتمنى أن تكوني مازحة.»

«انفض الغبار قليلاً في عقلك يا ادامس. سوف أقضي ست ساعات في تنظيف المكاتب وأقضي الوقت الباقي في الأبحاث لمقالاتي. آه، قبل أن أنسى، لقد أعطيت اسمك كمرجع.»

«سوف تعودين وتقولين للذي أعطاك الوظيفة بأنك متأسفة، ولا تستطيعين العمل هناك.» أعلن كريمر ذلك رافضاً أية مناقشة.

أُنقِذت ماريان من القول بأنها ليست عازمة على الاستقالة بظهور النادلة، باركها الله، وهي تحمل الطعام اليهما في اللحظة ذاتها.

«الآن ماذا بشأن الشقة؟» سألت ماريان. بعد تعليقه على ضرورة السكن في مكان آمن، أصبحت مقتنعة أكثر بأنّ عليه أن يختار المنزل لها: «هل سنحت لك الفرصة بأن تبحث لي في هذا الموضوع؟»

«أتمنى أن لا تكونين قد قدّمت استقالتك في السياتل؟» هزّت ماريان رأسها بإيجاب وهي تبتلع لقمة من سندويشها: «أول شيء فعلته في الصباح. لقد أخبرتهم بأنني سوف أترك في الخامس عشر وإن كنت لا تعلم فهو يقع في بداية الأسبوع القادم.»

«لم يكن عليك أن تفعلي ذلك.»

«لا أستطيع تحمّل مصاريف البيت! ولن أتمكن من الأكل في المطاعم كل يوم أو ركوب سيارة أجرة أو شراء الأشياء عندما أريد.» ابتسمت بفخر حين قالت ذلك. لم يكن المال مشكلة بالنسبة لها... كان في بعض الأحيان موضوع مناقشة، لكن ليس مشكلة. لقد شعرت بنشاط لمجرّد تفكيرها بوضعها الجديد.

«هلا كففت عن الابتسام في وجهي؟» قال كريمر وهو يكاد ينفجر.

«أنا متأسفة، لكنه شيء مضحك أن أقول إنني لا أستطيع تحمل المصاريف. إنه يبدو أمراً جيداً.»

«خلال أسبوعين سوف تشعرين أنه الجحيم.» كان التخوف والحزن باديين على وجه كريمر.

«إذن سوف أتعلم ذلك على حسابي.» لاحظت أنه لم يأكل شيئاً من طعامه فقالت: «هيا كُلْ التشيلي قبل أن يبرد.»

«لقد فقدت شهيتي.» ثم ناقض نفسه وتناول زجاجة صلصة حارة ورشّ منها فوق التشيلي.

«قل لي الآن، هل وجدت لي شقة صغيرة حتى أذهب وأراها بعد الظهر، أم لم تفعل؟» قالت ماريان مُصرّة.

«لقد وجدت واحدة. ليست كالتي تعودتِ عليها: فكوني جاهزة. سوف أصحبك إلى هناك عندما ننتهي من غدائنا.»

«أخبرني عنها.» قالت ماريان بإلحاح.

«هناك غرفة رئيسية واحدة، مطبخ صغير، حمام أصغر، خزانة صغيرة جداً، لا جلايةً.» توقف وكأنه توقع أن تقفز وتطلب منه أن يلغي كل شيء.

«تابع.» قالت له وهي تتناول الصودا.

«الأرض مغطاة بالخشب.»

«سوف يكون ذلك جميلاً.» لم تسكن أبداً في بيت من دون سجاد على الأرض، لكنها سوف تعتاد على ذلك.

«المفروشات صلبة كفاية. إنها قديمة وتزن حوالي الطنّ، لكنني لا أدري إذا كانت مريحة.»

«أنا متأكدة من أنها سوف تكون جيدة. سوف أعمل تقريباً كل يوم، ولا أظن أنه سيكون هناك مشكلات.» وأدركت خطأها بعدما نطقت بتلك الكلمات مباشرة.

غمس كريمر ملعقته في التشيلي. «يبدو أنك نسيت أن عليك متابعة صيد الوظائف. لن تعملي في شركة 'استأجر خادمة'، وهذا نهائي.»

«إنك تتصرف مثل الأهل مرّة أخرى. أنا ناضجة كفاية وأعرف ما يمكنني أن أفعل أو لا أفعل، وسوف أقبل بهذه الوظيفة، أعجبك الأمر ام لم يعجبك، وهذا نهائي.»

ضاقت عيناه وأجاب: «سوف نرى.»

«نعم، سوف نرى.» أجابت بحدّة. قد يكون كريمر صحافياً جريئاً، لكن هناك بعض الأشياء التي عليه أن يعرفها عنها، ومن هذه الأشياء عنادها. علت وجهها ابتسامة صغيرة، عندما لاحظت أنها تفكر بإقامة علاقة صداقة طويلة الأمد معه. كان محقاً عندما قال إنهما يقفان في جهتين مواجهتين من السياج. كان محقاً أيضاً عندما قال إنه لا شيء يجمعهما ليكونا صديقين. على الرغم من ذلك فقد كان كريمر ادامس الرجل الأكثر سحراً الذي عرفته في حياتها.

ما إن انتهيا من وجبتهما، حتى تناول كريمر الفاتورة لكن ماريان أصرّت على اقتسامها. لقد بدا غير سعيد بذلك لكنه سمح لها هذه المرّة. على ما يبدو، لم يكن ينوي أن يتناقش معها، مما جعل ماريان تشعر بالراحة. رافقها حتى باب السيارة، المتوقفة خارج المطعم وصعدت ماريان إليها راضية لأنه نظّف لها المقعد الأمامي.

تردّد كريمر عندما أنضم إليها، وقال لها وهو ممسكٌ بالمقود: «هل أنت واثقة من أنك تريدين المضي في ذلك؟»

«طبعاً.»

«كنت أخشى أن تقولي ذلك. لا أستطيع التصديق بأنني أساعد وأحرض على هذا الهراء.»

«أنت صديقي، وأنا ممتنة لك.»

أدار المحرّك من دون اضافة أية كلمة.

«أين تقع الشقة؟» سألت ماريان بينما كانت السيارة تتقدم على هضبة سياتل الشديدة الانحدار: «أعني، أية منطقة؟»

«كابيتول هيل.»

«آه، كم هذا لطيف. أليس هذه المنطقة نفسها حيث تقيم؟» لم تكن بعيدة عن السياتل، يعني أنه بإمكانها نقل خط الهاتف. ربما قد تستطيع أيضاً الاحتفاظ بالرقم ذاته.

«نعم.» أجابها متمتماً. لم يكن في مزاج يسمح له بالمناقشة وأبقى انتباهه مركّزاً على القيادة. توقف في مكان مُخصّص للسيارات خلف بناية قرميدية مؤلفة من ثمانية طوابق وتبدو وكأنها بُنيت قبل الحرب العالمية الثانية.

«الشقة في الطابق الرابع.»

«حسناً.» نزلت من السيارة ونظرت إلى البناء العتيق. وإلى مكبّ النفايات الذي كان قرب الحائط مليئاً حتى الطوفان. كان على ماريان أن تدور حوله قبل الدخول من باب جانبي. على ما يبدو لم يكن هناك مصعد، وحتى وصولهما إلى الطابق الرابع كانت ماريان تحس بالدوار، ولم تستطع أن تلتقط نفسها لتعترض.

«أعطاني المدير المفتاح.» قال كريمر مُفسّراً وهو يرتاح في الممر ويفتح الباب الثاني إلى اليمين. كان كريمر يتنفس بعمق أيضاً، بينما كانت ماريان متكئة إلى الحائط تحاول التقاط انفاسها.

فتح كريمر الباب وأشار لها بالدخول. «كما قلت، إنها ليست فخمة.»

دخلت ماريان إلى الشقة واندهشت من تناثر المفروشات، صوفا محشوّة بكثافة وطاولة صغيرة مع قنديل صغير وأرضية خشبية مبقّعة. أغمضت عينيها، رفعت كتفيها إلى فوق وأجبرت نفسها على الابتسام: «إنها ممتازة.»

«هل تعتقدين حقاً أنك تستطيعين العيش هنا بعد السياتل؟» سألها وهو يبدو مستغرباً.

«نعم، أستطيع.» قالت بتصميم قد يجعل اجيال من آل سمبسون يحسون بالفخر: «كم يبعد منزلك؟»

توجه كريمر نحو النافذة مديراً ظهره لها. أخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول: «إنني أسكن في الشقة المجاورة.»

الفصل الثالث

«لا أحتاج إلى حاضنة.» أجابت ماريان مُعترضة. كانت تواجه بعض الصعوبة في المحافظة على الثقة في صوتها. في الحقيقة، لقد أحست بالرضا حين عَلِمت أن كريمر يسكن في الشقة المجاورة، وقفز قلبها من السعادة.

ابتعد كريمر عن النافذة. بدا فمه في خط مستقيم كما لو أراد القول بأنه ضدّ كل ما يحدث. «ذلك المساء في محطة الاذاعة.» قال متمتماً بنعومة: «أدركت كل شيء.»

«أدركت ماذا؟»

هز رأسه ببطء، وبدا شارد الفكر. «نظرت إليك وسمعت في أعماقي صوتاً يقول: 'ها قد أتت المتاعب'.»

ضحكت ماريان برغم نظرته الحادة.

«تجاهلت ذلك الصوت كالمعتوه، الله وحده يعلم كيف استطعت ذلك.»

«أنت لا تلومني على ذلك، أليس كذلك؟» سألته ماريان وهي تضع يديها على خصرها استعداداً لمعركة. «إذا كنت ناسياً، فأنت الذي دعا نفسه للعشاء تلك الليلة. ثم جعلتني أشعر بالوهن بسبب الشراب...»

«أنت من أحضر الزجاجة. لا يمكنك لومي على ذلك.» كان يتمتم وهو يضع يديه في جيبيْ معطفه.

«كنت أحاول أن أبدو مضيفة جيدة.»

«حسناً، حسناً، لقد فهمت قصدك.» قال وهو يصرّ أسنانه ويهزّ رأسه من جديد: «كنت أنا المعتوه الذي كتب تلك المقالة. قد أدفع معاش أسبوع كامل حتى استرد ما قلته. لا، اجعليه معاش شهر. هذه آخر مرة، أضع فيها النقاط على الحروف.» أخرج يده من جيبه وحملق بها لعدة لحظات.

اتجهت ماريان نحو الصوفا المغطاة بقماش باهت اللون ومرّرت يدها على حافتها واكتشفت أنها لا تشبه مقاعدها الجلدية في السياتل بشيء. «أتمنى أن تخفف من قلقك عليّ، فأنا لست بالليونة التي تظن.»

أجابها كريمر بسرعة: «قد تنفعك منفضدة غبار.»

قررت المجادلة لكنها غيرت رأيها بسرعة. «سوف استأجر الشقة، لكن أريدك أن تفهم شيئاً، وفي الحال. إنك لست مسؤولاً عني بأي شيء. أنا فتاة ناضجة وسوف أتدبر أمري بمفردي. لقد فعلت ذلك في الماضي وسوف أفعل ذلك في المستقبل.»

لم يجب كريمر في الحال. وبدل ذلك قال شيئاً لم تستطع ماريان سماعه. بدا وكأنه كان يفعل الشيء نفسه منذ أن تعرّف إليها. ربما كانت عادة قديمة عنده، لكنها كانت تشك في ذلك.

أعادها كريمر بسيارته إلى السياتل، وكانت ماريان تشعر بالسعادة خلال الطريق. كانت تسيطر على حياتها للمرة أولى. بخلاف ذلك، لم يكن كريمر يشعر بشعورها نفسه.

«هل يجب علي توقيع أية أوراق بشأن الشقة؟ ماذا عن الدفعة أولى.»

«يمكنك أن تفعلي ذلك لاحقاً. إن هذه الشقة هي أصغر واحدة في البناية. شقتي أكبر بثلاث مرات.»

«هلا كففت عن الانشغال بي؟» قالت له ماريان وقد انتابها شعور من البهجة لم تشعر به من قبل.

توقف كريمر قرب منزلها. «هل تريد الصعود لبضع دقائق؟» سألته ماريان.

اتسعت عيناه الداكنتان كما وكأنها اقترحت عليه أن يلعبا دورة من الروليت الروسية. «أكيد أنك تمزحين.»

لم تكن تمزح.

رفع كلتا يديه إلى الأعلى وقال: «أبداً لا تمزحين، بعد قليل ستقدمين الشراب وسوف نتحدث كصديقين قديمين. ثم أعود إلى المنزل مفكراً بك وقبل أن أعلم ماذا حدث...» توقف فجأة وكأنه قد قال الكثير: «لا، شكراً.»

«إلى اللقاء، إذاً.» قالت وقد خاب أملها: «أراك لاحقاً.»

«أجل. لاحقاً.» لكن الطريقة التي قالها بها بدت وكأنه يتمنى أن لا يراها قبل قرن أو قرنين ربما.

ترجلت ماريان من السيارة وكانت على وشك أن تغلق الباب وترددت: «كريمر؟»

«ماذا الآن؟» قال صارخاً.

«شكراً لك.» قالت برقة.

طبعاً، بدأ بالتمتمة وقاد السيارة بعيداً حالما أغلقت الباب. على الرغم من مزاجها المتعكر، وجدت ماريان نفسها تبتسم.

ما كادت تدخل شقتها، حتى صُدمت بالفرق الشاسع بين شقة سياتل والشقة التي وجدها لها كريمر. واحدة كانت

قاتمة، ضيقة وقذرة، والثانية مُلمّعة، واسعة وأنيقة. تخيلت الشقة في كابيتول هيل وفكرت كيف يمكن أن تحسنها بأقل كلفة ممكنة. لقد واجهت تحديات كثيرة في حياتها لكنها لم تواجه تحدياً. مثل هذا من قبل. غريزياً، شعرت أنها ستنال الرضى الحقيقي إذا جملّت المكان وفق مدخولها الجديد.

تحويل شقتها إلى منزل مناسب كان آخر اهتماماتها. عليها إخبار أهلها بتركها للعمل. سوف تكون ردّة فعلهم مثل ردة فعل كريمر.

أخذ الهاتف يناديها. تقدمت ببطء عبر الغرفة نحوه وأخذت نفساً عميقاً. أحكمت أصابعها بقوة على السماعة. قبل أن تغير رأيها، اغمضت عينيها، طلبت الرقم وانتظرت.

أجابت أمها بسرعة.

«كنت جالسة على مكتبي.» أجابت موريال سمبسون. كانت تبدو سعيدة لسماع صوت ماريان: «كيف حال سياتل؟ هل ما زلت مسحورة بالشمال الغربي مثلما كنت في السابق؟»

«أكثر من أي وقت آخر.» أجابت ماريان دون تردد؛ ما لم تَقُلهُ هو إن جزءاً من اندهاشها سببه كريمر.

«أنا سعيدة لأنك تحبين ذلك المكان، لكنني لا أخفي عليك يا عزيزتي، إنني اشتقت إليك كثيراً.»

«لم أسكن معكم في المنزل منذ عدة سنين.» ذكرت ماريان أمها.

«أعلم، لكنك كنت قريبة من المنزل في مانهاتن. لا أستطيع الانضمام إليك للغداء كما كنت أفعل في السنة الماضية.»

«سياتل رائعة. أتمنى أن تزوريني قريباً.» لكنها صلّت أن لا يكون ذلك قريباً جداً.

«في وقت ما في الربيع، أعدكِ.» أجابت موريال.

«كنت أخشى أن تصابي بالاحباط من غزارة الأمطار عندما تستقري في سياتل.»

«صراحةً يا أمي، في نيويورك أمطار سنوية أكثر من سياتل.»

«أعلم، يا عزيزتي، لكن المطر يأتي في نيويورك متقطعاً ولعدة أيام. في سياتل تمطر لأسابيع متواصلة، هكذا سمعت.»

«ليس الأمر سيئاً لهذه الدرجة.» لقد كانت ماريان منشغلة لدرجة أنها لم تكترث للطقس. قالت وهي تستجمع شجاعتها: «سبب اتصالي هو خبرٌ جديدٌ، أريد اطلاعك عليه.»

«أنت مُغرمة حتى الجنون وتريدين الزواج؟»

كانت موريال سمبسون تتطلع إلى الأحفاد منذ أن تخرجت ماريان من الجامعة. أخواها كانا أصغر منها سناً، لذلك كانت ماريان تعلم أن مسؤولية الأحفاد قد ألقيت على كاهلها. خلال السنتين الماضيتين كانوا يعرفونها إلى شبان لائقين.

«إن الأمر ليس مأساوياً لهذه الدرجة.» أجابت ماريان وهي تفقد شجاعتها: «لقد كلفت في مهمة خاصة... لـ... الـ... للجريدة.» علقت الكذبة في حنجرتها.

«مهمة خاصة؟»

حسناً، كانت تحاول المماطلة بالحقيقة قدر الإمكان

وكرهت القيام بذلك، لكن لم يكن عندها خيار. كانت ردة فعل كريمر ستبدو لطيفة بالمقارنة مع ردّة فعل أهلها لو علموا أنها تعمل كناطور بناية. استأجر خادمة قد أعطتها إسماً مسلياً، لكنها استخدمت في الأصل للتنظيف. لم يكن عملاً فتاناً ولا مفيداً، لكنه كان شريفاً وكانت بحاجة إليه لتستطيع أن تكوّن لنفسها اسماً في مجال العمل الذي اختارته.

«أي نوع من المهمات الخاصة؟»

«له علاقة بالعمل.» قررت ماريان أن تجعل أهلها يعتقدون بأن «المهمة» متعلقة بالعمل في الجريدة. في الواقع لم تكن سعيدة، أحست بالكآبة لأنها تغش أمها، لكنها لم تجرؤ على التلميح إلى نوع العمل الذي تقوم به. ما قد يساعدها على تحمل ذلك هو أن يقرأ أهلها ما قد تكتب خلال شهر أو اثنين.

«ليس شيئاً. خطراً، أليس كذلك؟»

«لا، بالله، لا.» قالت ماريان وهي تحاول اخفاء الضحكة: «لكنني سوف أكون مشغولة به خلال أسابيع، لذلك لن أستطيع أن أرسل لك أياً من المقالات، على الأقل ليس قبل وقت قصير. لا أريدك أن تتساءلي عندما لا تصلك أخباراً مني.»

«هل ستسافرين؟»

«قليلاً.» على بعد عدة أميال في الواقع، لكنها لم تستطع قول ذلك لها. «عندما يكتمل كل شيء سوف اتصل بك.»

«لن تستطيعي حتى الاتصال؟» قالت أمها وفي صوتها شيء من القلق.

ليس كثيراً، على الأقل ليس على نفقتها. لاحظت ماريان ذلك بمرارة.

«طبعاً سوف اتصل.» سارعت لتطمين أمها.

«بما أننا نتكلم عن مقالاتك، ماذا حلّ بذلك الصحافي التعيس الذي كان يضايقك في بداية الشهر.»

«الصحافي التعيس؟» ردّدت ماريان وهي غير واثقة. أجابت بعدما أدركت فجأة: «اوه، تعنين كريمر.»

«هذا هو اسمه؟» قالت الأم رافعة صوتها: «اتمنى أن يكون قد توقف على الأقل عن كتابة تلك المقالات لمضايقتك؟»

«كان ذلك مسلياً، يا أمي.» لقد ضايقها حقاً، لكن ماريان كانت مستعدة لمسامحته. «إننا صديقان الآن. في الواقع، إنه يعجبني كثيراً.»

«صديقان.» قالت أمها برقة: «لا أظن أن صديقك الجديد متزوج، هل هو كذلك؟ تعلمين أن والدك وأنا قد بدأنا علاقتنا بطريقة غريبة، أليس كذلك؟»

«أمي، توقفي عن ذلك.»

«اخبريني فقط شيئاً واحداً. هل هو متزوج أم لا؟»

«كلا. إنه في بداية الثلاثين من عمره وهو وسيم.»

تبع الوصف وقفة قصيرة.

«أمي؟»

«أنت منجذبة إليه، أليس كذلك؟»

لم تكن ماريان واثقة إن كان عليها الاعتراف لكنها كانت قد تركت نفسها تعترف: «نعم.» أجابت برقة: «أنا... قليلاً. هناك أشياء كثيرة تعجبني فيه مع أننا لا نتفق في معظم

الأحيان. إنه موهوب جداً. لم أقرأ مقالاً واحداً له لم يجعلني. أبتسم... وأفكر. لديه روح النكتة.»

«هكذا يبدو. هل دعاك للخروج؟»

«ليس بعد.» لكنه سيفعل، قلبها قال لها.

«أعطه الوقت لذلك.» انخفض صوت موريال سمبسون قليلاً وبدا لماريان وكأنها تسمع صوت الدواليب تدور في رأس أمها: «الآن، يا عزيزتي، وقبل أن أقفل الخط، أخبريني عن تلك المهمة الخاصة.»

تكلمت لعدّة دقائق أخرى، وفوجئت ماريان بنفسها كيف تمكنت من تجنب أسئلة أمها المباشرة. كرهت ذلك الكذب وذلك الشعور بالذنب. حاولت إقناع نفسها بأن نواياها طيبة. لو علم أهلها ما كانت تخطط لمرضوا بسبب القلق. لم تعد تستطيع البقاء طفلة صغيرة. عندها شيء تريد اثباته وللمرة أولى كان عليها أن تعمل كمناضل حقيقي... من دون أن يكون والدها واقفاً على الخطوط الجانبية يرشي الحكام.

لم تسمع ماريان أي أخبار عن كريمر منذ ثلاثة أيام وقد بدأت تقلق. في نهاية الأسبوع تكون قد انتهت من الريفيو؛ والاثنين الذي يلي سوف تبدأ عملها الجديد. وقد أسعدها أن كارول قد عُينت مكانها.

«لست مقتنعة بأنك تقومين بالشيء الصحيح.» قالت لها كارول وهما تتناولان الغداء في آخر يوم لماريان في العمل.

«لكنني مقتنعة، وهذا ما يهم.» أجابت ماريان: «لماذا الكل متخوف من أن أقع على وجهي؟»

«ليس هذا، بالضبط.»

«لكن ما هو؟» سألت ماريان. «لم يتوقف كريمر عن التذمر منذ أن تركت عملي في الجريدة وبحثت عن عمل آخر وانتقلت للعيش في شقة على نفقتي الخاصة.»

«طبعاً عليه أن يتذمر!» قالت كارول مباشرة: «هو الذي خلق المشكلة. أنت فتاة لطيفة. لا أستطيع أن أراك تختلطين بأناس من نوعه.»

كان عند ماريان بعض الشك بأن صديقتها لا تقول هذا بسبب ولائها للجريدة. «الاختلاط بأمثاله؟ هل هناك شيء لا أعرفه عن صحافي سياتل المفضل؟»

«قد يكون كريمر ادامس أكثر الصحافيين شعبية في المدينة، لكنه ناقد لاذع. أوه، إنه ذكي وموهوب، أنا أقر له بذلك، لكن عنده نزعة تحقير الآخرين.»

«لاحظت أنه متهكم بعض الشيء.»

«إنه أكثر من مُتهكم. المشكلة أنه مسل لدرجة أننا ننسى تهكمه. أتمنى لو أحصل على فرصة دقيقتين مع ذلك الرجل حتى أريه من يكون. لم يكن من شأنه أن يكتب عنك ما كتب في ذلك المقال 'سهرتي مع المبتدئة'! أنظري إلى أين أوصلك!»

ماريان أيضاً، لم تكن تمانع بقضاء دقيقتين مع ذلك الرجل لكن لغاية أخرى. تداخلت الأفكار بسرعة في ذهنها حتى أنها أحدثت ابتسامة ناعمة.

«لكن هذه المرة ارتدت كلماته عليه.» تابعت كارول.

«كل ما قاله كان صحيحاً.» شعرت ماريان أنها مضطرة لتذكير صديقتها بذلك. لم تكن مغتبطة عندما قرّر أن يشارك أفكاره مع كل سكان النصف الغربي من ولاية واشنطن، لكنها لم تستطع تكذيب ما قاله.

«من غير الضروري أن أقول إنني لست مهتمة بكريمر أكثر من اهتمامي بكِ.» قالت كارول وهي تنظر إلى طعامها: «لقد رأيت ذلك البريق في عينيك وأنت تتحدثين عنه، في الحقيقة، هذا يقلقني.»

خفضت ماريان عينيها الخائنتين بسرعة. «أنا متأكدة من أنك مخطئة. كريمر وأنا صديقان، وهذا أقصى حد.» لم تكن واثقة تماماً من أن كريمر قد يدعوها صديقة؛ فهي تشك في أنه يعتقد أنها مصدر ازعاج.

«ربما هي صداقة من جهته، لكنها أكثر من جهتك أنت. أخشى أن تكوني قد أغرمت بهذا الوغد.»

«هذا جنون.» أجابت ماريان بسرعة: «لقد تعرفت إليه للتو.» اخترق نظر كارول عيني ماريان فتنهدت هذه الأخيرة. «إنه يروق لي.» قالت مُعترفة: «لكن هذا بعيد جداً عن التورط بعلاقة عاطفية معه.»

«لا أستطيع التوقف عن القلق عليك، وقوعك يا ماريان في غرام كريمر يقلقني أكثر من تنظيفك للمكاتب أو انتقالك للسكن في كابيتول هيل.»

ابتعلت ماريان لقمتها بصعوبة. «كريمر صحافي موهوب ومحترم. إن كنت سأقع في غرامه، وهذا شيء لا أنوي القيام به في القريب المنظور، ولكن إن حصل فلماذا سيكون ذلك مأساوياً؟»

«لأنك ناعمة ومحبة وهو...» توقفت كارول ونظرت إلى الفضاء وأضافت: «لأنه يحتقر الناس.»

«صحيح، لكن تحت هذا المظهر الفظّ يوجد قلب من ذهب. على الأقل أنا أظن أنه موجود.» قالت ماريان ممازحة.

«ربما، لكنني أشك في ذلك.» قالت كارول متابعة حديثها: «لا تفهميني خطأ... أنا أحترم موهبة كريمر، لكن التصرفات الشيطانية هي التي تقلقني.»

لكنها لم تقلق ماريان. كل ما قالته كارول عن كريمر كان صحيحاً. لقد حاول أن يكون متهكماً، لكنه كان أيضاً خلاقاً، مفكراً وعلى الرغم من انطباع كارول، فقد كان حنوناً.

بما أنه آخر يوم لها في الجريدة، فقد أمضت ماريان عدّة لحظات إضافية في توديع العاملين معها. معظمهم كانوا آسفين لرحيلها. ووجهت ببعض التحفظات عندما بدأت العمل في هذه الجريدة، لكن عملها الجيّد جعلها تتخطّى كل العقبات.

بالغريزة، توقفت ماريان قرب المطعم حيث التقت كريمر في مطلع الأسبوع آملة أن تجده هناك. رقص قلبها فرحاً عندما رأته جالساً قرب النافذة فاتحاً كتاباً أمامه. لم يرفع رأسه عنه عندما دخلت.

كما أنه لم يلاحظها عندما اقتربت منه. من دون انتظار دعوة، جلست قبالته.

«مرحباً.» قالت متمتمة مبقية صوتها خافتاً: «ها قد أتت المتاعب لإزعاجك مرة أخرى.»

ببطء، وبتردّد واضح، أشاح كريمر نظره عن الكتاب. «ماذا تفعلين هنا، ايتها المتاعب؟»

«أبحث عنك.»

«لماذا؟ هل فكرت بوسائل جديدة لتمتحني صبري؟ ما رأيك لو وصلت حبلاً بين ناطحتيّ سحاب؟»

«لم أسمع أخبارك منذ يومين.» توقفت آملة أن يتابع الحديث: «فكرت أنه قد يكون عليّ القيام بشيء بشأن الشقة. أن أوقع عقداً مع المالك، أو أن أعطي المدير دفعة على الحساب، أو أي شيء من هذا القبيل.»

«آني...»

«حتى أنني لا أعرف العنوان. لقد رأيتها فقط تلك المرة.»

«قلت لك أن لا تقلقي بشأنها.»

«لكنني لا أريد أن يستأجرها أحد.»

«لن يفعل أحداً ذلك.» وضع الكتاب جانباً عندما ظهرت النادلة حاملة كوب ماء ولائحة الطعام. عرفتها ماريان من المرة السابقة.

«مرحباً، باربرا.» قالت وهي تقرأ الاسم الذي علقته المرأة على صدرها: «ما هو الصحن اليومي؟ السيد ادامس يدين لي بوجبة وسوف أقبلها اليوم بما أن الفرصة قد سنحت.» انتظرت منه أن يسألها عما كانت تتحدث، لكن يبدو أنه تذكر وعده لها بدعوتها للعشاء مقابل اليخنة الايرلندية التي قدمتها له في منزلها.

«لفائف ملفوف مع حساء أو سلطة.» قالت باربرا وهي تتناول دفترها الصغير وقلماً بينما كانت ماريان تتفحص اللائحة بسرعة.

«أريد همبرغر مع الجبنة وشراب شوكولا بارداً.»

ابتسمت باربرا، وقالت: «سأحاول إحضار طلبك مع طلب السيد ادامس.»

«شكراً.» قالت وهي تُعيد أليها اللائحة. توجهت باربرا نحو المطبخ وهي تدون الطلب في دفترها.

«اليوم كان الأخير في الجريدة.»

«سوف أسألك مرة أخرى. هل أنت متأكدة أنك تودين متابعة مشروعك هذا؟» سأل كريمر. «اللعنة، لم أظن أبداً أنك ستقبلين بتلك الشقة، لكنك امرأة عنيدة.»

«طبعاً إنني أقبل بالشقة.»

«هذا ما ظننت.» أغمض عينيه لبرهة. «ماذا قالوا في وكالة، 'استأجر خادمة' عندما أخبرتهم بأنك لن تعملي معهم؟

نظرت ماريان من النافذة عن قصد. «لا شيء.»

رفع حاجباً. «لا شيء؟»

«ماذا كان باستطاعتهم القول؟» سألته محاولة تجاهل الشك الظاهر في عينيه. ربما أصبحت ماهرة في مسألة الكذب، التي لم تكن فكرة مريحة. لا تزال منزعجة من الطريقة التي ضللت بها أمها.

مرّر كريمر يداً على وجهه وقال: «لم تخبريهم، أليس كذلك؟ يبدو أنك تنوين لعب دور سندريللا حتى النهاية.»

«وأنت تنوي لعب دور زوجة الأب الشريرة حتى الكمال.»

لم يقل شيئاً . لفترة طويلة: «هل هناك جزء في تلك القصة الخرافية حيث تحتجز سندريللا في خزانة لمصلحتها الخاصة؟»

«لماذا؟» لم تكن تستطيع مقاومة عدم السؤال: «هل هذا ما ستفعله بي؟»

«لا تُغريني.»

«تمنيت لو كان عندك إيمان أكثر بي.»

«عندي إيمان بك. عندي إيمان بأنك سوف تجعلين حياتي جحيماً خلال الأشهر المقبلة فيما تحاولين اثبات نفسك. السماء وحدها تعلم ما الذي دفعني لكتابة تلك المقالة، لكن ثقي، لم تمض دقيقة على نشر تلك المقالة إلا وندمت على كتابتها.»

«لكن...»

«الآن تصرّين على الانتقال إلى الشقة الملاصقة لشقتي. هذا حقاً رائع. يعني أن السلام الباقي في حياتي سوف يُدمر تدميراً كاملاً.»

«هذا ليس صحيحاً!» صرخت ماريان: «إضافة إلى ذلك، أود أن أذكرك بأنك أنت من وجد لي هذه الشقة ولست أنا. ليست عندي أية نية في ازعاجك.»

«كما قلت سابقاً، ظننت أن مجرد رؤيتك للشقة سوف تغير رأيك. الآن لن يكون لي بعد اليوم دقيقة مع نفسي. أنا أعلم ذلك، وأنت تعلمين أيضاً.» كانت عيناه داكنتين وضيقتين أكثر مما رأته سابقاً. «لم أكن أمزح عندما قلت إنك متاعب.»

«حسناً.» قالت ماريان محاولة جاهدة إخفاء شعورها بالهزيمة: «من الواضح أنك لم تتوقع، قط، أن أرضى بهذا السكن. أعتقد انك حاولت المستحيل حتى يبدو المنزل كئيباً وموحشاً. لا تخش شيئاً، سوف أجد مكاناً آخر للعيش. شقة أخرى بعيدة، أبعد ما يمكن عن شقتك.» اندفعت بسرعة محاولة الهرب، وكادت أن تصطدم بباربرا.

«ماذا عن الهمبرغر بالجبنة؟» سألت النادلة.

حدّقت ماريان إلى كريمر وقالت: «غلّفيه وأعطه للسيد ادامس، لقد فقدت شهيتي.»

الدموع التي اغرقت عينيها أشعرتها بالغضب أكثر. غاضبة من نفسها لأنها سمحت لكلمات كريمر بجرحها، هرعت في الشارع متوجهة إلى السياتل. كان قد بدأ الظلام يخيم، لكنها لم تأبه، كانت بحاجة لأن تنفس عن غضبها، ونزهة قصيرة قد تفي بالغرض.

لم تهتم عندما سمعت وقع أقدام قوية وسريعة وراءها. عندما لفحها الهواء، أحست برعشة وشدت المعطف نحوها، واضعة يديها في جيبيها ورافعة كتفيها إلى الأمام.

في البداية حذرتها كارول، والآن كريمر، يظن الجميع أنها بحاجة إلى حارس! يبدو أنهم يظنون أنها غير كفوّة، وشكوكهم هذه تجرحها في كرامتها.

انحنى رأسها في مواجهة الريح، ولاحظت قدمي رجل يسير بمحاذاتها. نظرت إلى الأعلى واكتشفت أن كريمر قد قرّر الانضمام إليها.

لم يقل شيئاً لفترة طويلة. كانا في منتصف الطريق قرب مرفأ مهجور قبل أن يتكلم: «لا أريدك أن تجدي شقة أخرى.»

«أظن أنه سيكون أفضل لو فعلت.» كان قد قال لها إنها ازعاج، وأضاف أنها سوف تكون مصدر ازعاج دائم له في حياته. لم تكن لديها أية نية في إزعاجه. كان بامكانها العيش في الطرف الآخر من المدينة. هذا ما أراده وهذا ما سوف يحصل عليه.

«لن يكون هذا الأفضل.» أجابها مناقشاً.

«إنه كذلك. يبدو أننا التقينا في الاتجاه الخاطىء.»

استدار كريمر وجذبها من كتفيها: «لقد تم تنظيف الشقة. إنها جاهزة لأن تنتقلي إليها ساعة تريدين. بدل الإيجار معقول والمحيط جيّد. كما أنكر، لقد بدأت كل هذه المشكلة السخيفة بسبب مقالة عن قلة البيوت ذات الإيجارات المعقولة. لن تجدي مكاناً آخر، بالمال القليل الذي تملكين.»

«لكنك تسكن في الشقة المجاورة!»

«إنني مدرك لذلك.»

«لن أسكن بجوار رجل يعتبرني آفة. وإضافة إلى ذلك، لا تزال تدين لي بعشاء.»

«قلت إنك متاعب.» قال موضحاً ومتجاهلاً ادعاءها: «لم أقل إنك آفة.»

«قلت ذلك.»

«قلت إنك سوف تدمرين راحتي...»

«تماماً.»

«... الفكرية.» قال متابعاً. أغمض عينيه لبرهة وأطلق زفرة غضب قوية: «سوف تدمرين راحتي الفكرية.»

لم تكن ماريان واثقة من أنها فهمت. حدّقت به مفتونة بالعاطفة التي رأتها في عينيه البنيتين.

«ماذا يهم، إن كنت تسكنين قربي أم في السياتل؟» سألها: «لقد نسفت سكينتي منذ أن وقع نظري عليك.»

«لا أفهم.» قالت بصوت هامس وتابعت النظر إليه محاولة فهم تعابيره.

«ليست عندك أية فكرة، أليس كذلك؟» قال هامساً.

وجدت أصابعه الطريق إلى شعرها وأحنى رأسه باتجاهها.

«يا رب، أبعدني عن الصهباوات البريئات.»

لكن يبدو أن السماء لم تسمع دعاءه، عانقها، وعلى الرغم من الكلمات الغاضبة.

لا شيء يهم، قرّرت. لا شيء يهم سوى الشعور الرائع بأن يكون الإنسان محبوباً ومحمياً.

خلال السنين الماضية تعرّضت ماريان لمثل هذه المواقف. وجدت التجربة جيدة، لكن أحداً لم يحركها مثلما فعل كريمر الآن.

«هل تفهمين ما أعني.» قال هامساً: «إننا في مشكلة هنا. مشكلة كبيرة.»

الفصل الرابع

وقفت ماريان على باب شقتها الجديدة، وهي تضغط على المفتاح في يدها. كانت تمضي في مغامرتها العظيمة، لكن الآن وقد تركت فعلياً السياتل أحست أن ثقتها بنفسها تهتز قليلاً.

انضمّت كارول إليها، منتفخة الوجنين، وهي تصعد الدرجات الأخيرة في الممرّ الضيق. اتكأت على الحائط في محاولة لالتقاط أنفاسها.

«ألا يوجد مصعد في هذا المكان؟» سألت عندما تمكنت من الكلام.

«إنه قيد التصليح.»

«هذا ما يقولونه دائماً.»

هزّت ماريان رأسها، وهي تكاد لا تسمع ما تقوله صديقتها. أدخلت المفتاح في القفل وأدارته وقلبها يقفز فرحاً. كان الباب محكم الإغلاق، فاستعملت قوة إحدى رجليها حتى فتحته. كانت الشقة تماماً كما تتذكرها؛ أرضية مُغطّاة بخشب سميك، المفروشات ذات اللون الباهت، أدوات المطبخ التي تكاد تكون أثريّة. لكن ماريان لم ترَ أي شيء من هذا.

كانت هذه حياتها الجديدة.

توجهت مباشرة إلى النافذة وحدقت إلى الخارج. «عندي

منظر رائع لحديقة ڤلنتير.» قالت لصديقتها. لم تلاحظه عندما أحضرها كريمر لرؤية الشقة. «لم أكن أعلم أن الحديقة قريبة جداً.» التفتت نحو كارول، التي كانت ما تزال واقفةً على العتبة وعلى وجهها معالم الصدمة والخيبة. «ما الخطب؟»

«باللّه عليك.» همست كارول: «أنت لا تنوين حقاً العيش هنا، أليس كذلك؟»

«ليس سيئاً لهذه الدرجة.» قالت ماريان وهي تبتسم، مُحدّقةً حولها حتى لا تفوّت عليها شيئاً: «عندي الكثير من الأفكار حول تزيين هذا المكان.» اتكأت على حافة الشباك، حيث معظم الطلاء البيج قد زال وظهر مكانه لون رمادي على اخضرار. «ما يحتاج إليه هو وجه من الطلاء ذي لون مفرح وفاتح.»

«إنه ليس بنصف حجم منزلك السابق.»

«كان هناك الكثير من المساحة الفائضة في منزلي ذاك.» قد يكون ذلك صحيحاً، فكرت ماريان، ولكنها ما كانت لتمانع في إحضار القليل معها.

«ماذا عن جارك؟» سألتها كارول بصوت حاقد. «هو الذي بدأ كل هذا. أقل ما يمكن أن يقدمه هو بعض المساعدة.»

عدلت ماريان من وقفتها وراحت تنفض بعض الغبار عن راحتيها. «لم أطلب منه ذلك. في الواقع، لا أظن أنه كان يعلم بموعد انتقالي إلى هنا.»

كان كريمر موضوعاً، أرادت ماريان أن تتجنبه. لم تكلّمه منذ تلك الليلة حين تبعها... عندما عانقها. لقد مرّ بالسيانل حتى يترك لها مفتاح الشقة وعقد إيجار مع

البواب. كان ماكس قد سلمّها إياهما في الحال. كان المغزى واضحاً: أراد كريمر أن يتجنبها.

من الواضح أنه غير موافق على ما حصل تلك الليلة قرب الرصيف. افترضت أنه لم يُعْجَبْ بمعانقتها. أو ربما أعجبه. ربما أعجبه أكثر من اللازم بالنسبة لراحته الفكرية.

كانت ماريان تعلم كيف شعرت تجاهه. لم تستطع النوم لليلتين بعد ذلك. كلما كانت تغمض عينيها كانت صورة كريمر وهو يضمها بين ذراعيه تتراقص في مخيلتها مثل ثنائي يرقص الفالس في سينما الأربعينات. تذكرت النظرة التي رمقها بها عندما قطعت العناق. وتذكرت عينيه الدافئتين والحنونتين ترويان لها قصة جديدة.

«مرحبا، يا آنسة، هل هذا هو المكان حيث عليّ إحضار الصناديق؟» شاب في حوالي الرابعة عشرة من عمره وقف في الباب، حاملاً صندوقاً كبيراً بين يديه.

«أ... أجل.» قالت ماريان وقد ميزت الصندوق، إنه واحد من صناديقها. «كيف علمت أن عليك اصعاده إلى هنا؟»

«السيد ادامس. لقد وعد بأن يلعب معنا كرة السلة إذا ساعدنا في تفريغ الشاحنة.»

«أوه. كم هذا لطيف. أنا ماريان سمبسون.» قالت وهي تشعر بالدفء يغمر قلبها بسبب تفكير كريمر غير المتوقع، بها.

«سرّني التعرف بك، يا سيدتي. والآن أين تريدينني أن أضع هذا؟»

أشارت ماريان نحو المطبخ. «ضعه في الزاوية هناك.»

وقبل أن ينتهي وصل شاب ثانٍ وثالث، والكل يحملون الصناديق.

انسحبت ماريان من بينهم وهرعت نزولاً إلى الموقف خلف المبنى. كان كريمر واقفاً خلف شاحنة زوج كارول، وهو يوزّع الصناديق ويعطي التعليمات. لا يبدو أنه لاحظها إلاّ عندما تقدّمت منه. عندما فعل، التزم الصمت وهو عابس.

«مرحباً.» قالت وهي تشعر بقليل من الخجل: «جئت لأشكرك.»

«لقد اخطأت بالصعود إلى الشقة وترك تلك الشاحنة من دون مراقبة.» قال صارخاً وهو لا يزال يعبس: «كان من السهل على أي واحد أن يأخذ شيئاً ويذهب.»

«لقد وصلنا لتوّنا.»

«وصلنا؟»

«كارول ريفرسايد وأنا. إنها فوق تحاول التقاط أنفاسها. كم من الوقت يلزم بعد لإصلاح المصعد؟»

«ليس قريباً.»

هزّت رأسها. حسناً، إذا كان يأمل بتثبيط عزيمتها فهي لن تدعه يفعل. حتى لو توجب عليها صعود أربعة طوابق كل يوم! إنه تمرين رياضي رائع. في السابق كانت تدفع مالاً حتى تقوم بتلك التمارين.

عاد كريمر إلى مهمته، يحمل الصناديق ويعطيها لصف طويل من الشبان. «أنا مندهش لأنك لم تطلبي من شركة نقل المفروشات أن تتدبر ذلك لك.»

«هل تمزح؟» قالت ضاحكة: «فقط الأغنياء هم الذين يطلبون خدمات تلك الشركات.»

«هل هذه كل الأغراض، أم تريدين القيام برحلة ثانية؟»

«هذه هي كلها. كارول وأنا وضعنا كل الباقي في مخزن، باكراً هذا الصباح. إنها تكلفني بعض الدولارات في الشهر. عليّ أن أكون حذرة بشأن المال، أنت تعلم ذلك.»

تجهم وجهه مرّة أخرى. «متى تنوين البدء بالعمل لدى شركة التنظيفات؟»

«الاثنين صباحاً.»

وضع كريمر يديه حول خصره وحملق بها. «إذا كنت حقاً تنوين القبول بهذا العمل...»

«طبعاً أريد!»

«إذاً أوّل شيء عليك القيام به هو طلب علاوة.»

«آه، حقاً، يا كريمر.» قالت معترضة ومتراجعة إلى الخلف: «لا أستطيع طلب ذلك!»

«الذي لا تستطيعين القيام به هو العيش بذلك المبلغ الضئيل من المال، مهما حاولت الاقتصاد.» قال متمتماً، وقفز من مؤخرة الشاحنة بخفة الهرة: «هلا استمعت إليّ ولو لمرّة؟»

«أنا استمع.» قالت له: «لكنني لا أوافق. تخل عن خوفك عليّ، هلا فعلت؟ سوف أكون بحالة جيدة، خاصة بعد أن أبدأ ببيع مقالاتي.»

«أنا لست فارساً يرتدي درعاً لماعة، مفهوم؟» قال صارخاً في وجهها: «إذا كنت تظنين أنني سوف أهب لنجدتك كلّ مرّة تكونين فيها بمأزق، عليك التفكير ثانية.»

«أنت تهينني بمجرّد اقتراحك بأنني سوف أقبل مساعدتك.» حاولت أن تغضب منه لكن ذلك كان مستحيلاً، قد يصرّ على أن تتكل كلياً على نفسها، لكن طيلة الوقت

عندما كان يؤنبها كان يساعدها في حمل الصناديق حتى لا تضطر لحملها على الدرج. قد يدّعي كريمر بأنه ليس فارساً يعدو بحصانه لمساعدتها، لكنه كان يتصرف على هذا النحو من دون أن يدري.

بعد ساعتين، كانت ماريان وحدها في شقتها للمرّة أولى. يداها على خصرها، وقفت في وسط غرفة الجلوس ونظرت إلى مملكتها. كما كانت قد أخبرت كارول، لم تكن سيئة جداً. ملأت الصناديق كل المساحة الخالية، لكن إفراغها وترتيب كل شيء سوف يستغرق وقتاً طويلاً.

كانت ممتنة للمساعدة التي قدمها كل من كارول وكريمر، وشبان الحيّ، لكن الأمر أصبح بيدها الآن. كان لديها الكثير من الخطط، قد تطلي الجدران وتضع صورها وتشتري بعض النباتات، لجعل هذا المكان فرحاً وجذاباً. لتحويله إلى منزل.

حلّ الظلام قبل أن تنتهي من إفراغ الصناديق، وقد كانت منهكة وجائعة. يجوز في الواقع وصفها تموت جوعاً. جوعها وتعبها تعاونا عليها: كانت تعبة جداً لدرجة أنها لا تستطيع الخروج وإحضار الطعام، وكانت جائعة لدرجة أنها لا تستطيع النوم من دون عشاء. اتخاذ القرار حول ما ستفعله أصبح مشكلة.

قررت أن تكتفي بصحن من الحبوب من دون الحليب. عندما سمعت طرقاً قوياً على الباب، فتحته لتجد كريمر واقفاً، مرتدياً بنطالاً قطنياً رمادي اللون وبلوزة قطنية. كان يحمل طابة كرّة السلة تحت ذراع وكيساً ورقياً كبيراً تحت الذراع الأخرى.

«لا تفتحي الباب أبداً من دون معرفة الطارق.» حذّرها وهو يدخل مباشرة إلى الشقة. رمى الكرة على الأريكة ووضع الكيس، من الواضح أنه من مطعم، على الطاولة. «هذه السلسلة موجودة هنا لسبب. إستعمليها.»

كانت ماريان لا تزال واقفة على الباب، تتنشق رائحة البطاطا المقلية والهمبرغر. «نعم يا سُموّك.»

«لا تحاولي اختباري. لقد أضعت لتوي سنتين من عمري في ملعب كرة السلة. أنا هرم جداً لهذا، لكن لحسن حظي ما افتقدته في صغري أعوّض عنه الآن.»

«حسناً.» قالت له وهي تغلق الباب. من أجل الحيطة وضعت السلسلة في مكانها وأدارت قفل الباب.

«شيء بسيط من التقدير قد يقطع شوطاً كبيراً في تخفيف جراحي.» قال لها وهو يغرق في الأريكة. أراح رأسه على الوسادة، وأغلق عينيه.

«لا يمكنك أن تكون بهذا الذكاء وإلاّ لكنت تدبّرت نفسك من التخلص من اللعب مع أولاد أصغر منك بعشرين عاماً.» قالت له بخِفّة. كانت تعاني من مشكلة عدم تمكنها من رفع نظرها عن الكيس الورقي الموضوع على الطاولة الخشبية الصغيرة.

استقام كريمر في جلسته متراجعاً قليلاً. «فكّرت أنك قد تكونين جائعة.» تناول الكيس وأخرج منه همبرغر مغلفة بمحرمة ورقية، قدمها لها وأخذ واحدة لنفسه. ثم أخرج علبتين من الكرتون مليئتين بالبطاطا المقلية وقنينتين من المشروبات الغازية.

جلست ماريان قربه ضاغطة بيدها على معدتها حتى تخفي جوعها.

«الأفضل لك أن تنتبه.» قالت له: «لقد صرت أشبه بذلك الفارس ذي الدرع اللمّاعة.»

«لا تسخري من نفسك.»

كانت ماريان جائعة لدرجة أنها لم تُرِدْ إضاعة وقتها بالجدال. التهمت الهامبرغر والبطاطا في دقائق. ثم ارتاحت على الأريكة وتنهدت سعيدة.

«جئت لأضع بعض القواعد الأساسية.» قال كريمر مُفسّراً: «أعتقد أننا بحاجة لتوضيح بعض الأمور، وتنقية الجو، نوع من هذه الأمور.»

«طبعاً.» قالت موافقة. بَدَت فكرة جيدة، مع أنها كانت واثقة بأنها تعلم عما يريد الحديث.

«لقد سبق ووعدتك بأن لا أزعجك.»

«حسن. أنا أنوي أن أبقى بعيدة عن طريقك، أيضاً.»

«ممتاز.» لم يبد ممتازاً إلى هذه الدرجة، لكن يبدو أن هذا ما أراده، لذلك لم يكن عندها الخيار. «شيء آخر؟»

تردّد كريمر. ثم انحنى إلى الأمام، واضعاً مرفقيه على ركبتيه. «نعم، شيء آخر بعد.» رمقها بنظرة عابساً. «لا أظن أنه علينا.... تعرفين، أن نعانق بعضنا مرة ثانية.»

صمت قصير تبع كلماته. ظنّت ماريان أنها لم تسمعه جيداً.

«أظن أن الحديث عن هذا الموضوع قد يكون محرجاً.» تابع كريمر وقد بدا غير متحيّز وكأنه يتكلم عن نتائج مباراة كرة القدم: «أريدك أن تعلمي أنني أقول هذا لمصلحتك.»

«أنا سعيدة لسماعي ذلك.» لقد تطلّب ذلك مجهوداً كبيراً من جهتها حتى لا تبدو وكأنها تسخر منه.

هز رأسه ورأت ماريان أنه لم يبد غير مبالٍ كما أرادها أن تعتقد.

«يبدو أن هناك انجذاباً لبعضنا البعض.» قال متابعاً متجنّباً أية نظرة باتجاهها: «أظنّ أنه كلّما أسرعنا في حل هذا الموضوع، كلّما قلت احتمالات سوء التفاهم في المستقبل. آخر شيء أتمناه لك هو الوقوع في حبي.»

«هكذا إذاً!» صرخت وهي ترفع يديها. سخافة تعليقه دفعتها حتى تسمح لنفسها ببعض السخرية: «القضية كلها منتهية. إذا لم أستطع الحصول على قلبك وروحك، فسوف أترك هذا المكان فوراً!»

«اللعنة، آني، هذا ليس موضوعاً للمزاح.»

«من يمزح؟» سألته. جعلت صوتها يبدو ميلودرامياً: «عرفت منذ اللحظة أولى التي دخلت فيها إلى محطة الإذاعة للاشتراك في برنامج مقابلة مع المشاهير، أنني إن لم أعانقك فلن يبقى لي شيء أعيش من أجله.»

«إذا كنت تحولين الموضوع إلى مهزلة فالأفضل لنا أن ننسى هذه المناقشة.» قفز على قدميه ووضع غلافات الهامبرغر والبطاطا في الكيس الفارغ بقوّة حتى كاد أن يمزق القعر. «كنت آمل أن يكون بيننا حديث ناضج، بين شخصين ناضجين. لكن على ما يبدو أن ذلك أبعد من قدراتك.»

«اجلس قبل أن ترتكب حماقة. مثلاً، تذهب وأنت في فورة غضب. كلانا يعرف أنك سوف تندم.» لم تكن تعرف عما تتكلم، لكن ما قالته بدا حسناً.

هبت ماريان واقفة وكل عضلة في جسدها تعترض. «ما

الذي جعلك تظن أنني أريدك أن تعانقني مرة أخرى؟»

ظهرت ابتسامة صغيرة على جانب فمه. «يمكن لأي كان أن يحكم بأن خوفي الأكبر هو أنك سوف تبدئين بالتفكير بأشياء لا أريدك أن تفكري بها. نتيجة لذلك سوف تتأذين. أودّ أن أكون متأكداً بأن لا علاقة عاطفية سوف تتطور بيننا. مفهوم؟»

«أتظن أن رأسي يعوم في الغيوم عندما يتعلق الأمر بك؟»

«هذا صحيح. أنت طفلة ناعمة، عنيدة ومثالية، لكنك ساذجة، عناق واحد أكد لي أن روحك عاطفية ولا أريد أن ترفرف هاتان العينان الزرقاوان الجميلتان حولي، حالمتين بالأطفال وبسياج خشبي أبيض. أنت وأنا مختلفان إلى أبعد الحدود.»

«مختلفان؟» بالنسبة لطريقة ماريان بالتفكير. كان عندها قواسم مشتركة مع كريمر أكثر مما كان لها مع أي شخص آخر.

«هذا صحيح. أنت تنحدرين من عائلة غنية مرموقة...»

«توقف!» قالت صارخة: «لا تقل كلمة أخرى عن فوارقنا المادية. إنها خارجة عن الموضوع. إذا كنت تبحث عن أعذار، فجدّ عذراً آخر.»

«لست بحاجة للأعذار. لن ينجح الأمر بيننا أبداً وأود أن أتأكد من أن أحداً منا لن يحاول. إذا كنت بحاجة لشخص حتى يعلمك كيف تكوني امرأة، فابحثي في مكان آخر.»

كانت كلماته كالصفعة على الوجه. «طبيعي لشخص لديه كل تلك التجارب الغرامية أن يكون متطلباً.» استدارت إلى الوراء، غاضبة لدرجة أنها لم تتمكن من البقاء من دون

حراك. «أما بالنسبة لخوفك من أن أقع في غرامك، دعني أؤكد لك الآن أنه ليس هناك أي أمل في ذلك. في الواقع، أظن أنه عليك الحرص على عدم الوقوع في غرامي!» كان صوتها يكتسب قوّة وإقناعاً مع كل كلمة. كانت أعصاب الرجل قوية جداً. في وقت ما ربما وجدت نفسها منجذبة إليه، لكن ذلك تغير حالما دخل إلى منزلها وتفوه بهذا الكلام.

«لا تسخري من نفسك.» قال مجادلاً: «أنت على وشك الوقوع في حبي. لقد أصبحت في منتصف الطريق، أستطيع رؤية ذلك في عينيك.»

اللعنة على تلك العينين المعبّرتين. قد قالت كارول شيئاً عن عينيها مُفْصِحَةً عما شعرت تجاه كريمر، أيضاً.

دارت ماريان في الغرفة محاولة إيجاد ردّ ساخرٍ مناسب بعيداً عن نظره. لكن قبل أن تنطق بأية كلمة. أحست بألم حاد في رقبتها، ألم قوي لدرجة أن الدموع انهمرت من عينيها على الفور. يبدو أنها تحركت بسرعة ومن دون انتباه.

تحرّكت يداها بسرعة نحو مؤخرة رقبتها.

قفز كريمر على قدميه بسرعة وسأل: «ما الخطب؟»

«لا شيء.» قالت متمتمة محاولة العودة إلى الأريكة. جلست، ويدها لا تزال تضغط على رقبتها. انتظرت لحظة قبل أن تحرك رأسها، محاولة التأكد من قوة الإصابة. لاحظت غلطتها بسرعة.

«آني؟» سألها كريمر وهو جاثياً أمامها: «ماذا بك؟»

«أنا... لا أعلم. تحركت بطريقة خاطئة، على ما أظنُّ.»

حلّت يداه مكان يديها. «عندك تشنج في رقبتك؟»

«إذا كان كذلك فهو بسببك. إنك تتفوه الأشياء الأكثر سخافة.»

«أعلم ذلك.» كان صوته بنعومة يديه. بدأ يدلك رقبتها برقة، وأصابعه تفرك برفق العضلات المتشنجة.

«أنا بخير.»

«طبعاً أنت كذلك.» قال هامساً: «فقط اغمضي عينيك واسترخي.»

«لا أستطيع.» كيف يمكنه أن يتوقع ذلك منها وهو قريب كل هذا القرب؟ كان يجعل كل اعتراضاتها تبدو وكأنها كذبة.

«بلى، يمكنك.» قال بصوت خافت وجذاب. انحنى فوقها، كانت يداه تدلكان التشنج في رقبتها وكتفيها وفي نفس الوقت تخلقان شعوراً من الدوران والدفء يمتدّ من أطراف أصابعها وحتى قدميها.

تنهدت وأمسكت معصميه بقوّة بيديها الإثنتين محاولة إيقافه قبل أن تجعل من نفسها سخرية بالتمايل نحوه أو القيام بشيء موح: «أظنّ أن عليك التوقف. دعني أقولها بطريقة أخرى. أعلم أن عليك التوقف.»

«أعلم أيضاً أنه عليّ التوقف.» اعترف بهدوء: «أتتذكرين ما قلت منذ قليل؟»

«تعني قانون عدم استعمال اليدين؟»

«نعم.» كادت أن لا تسمع ما قاله. «لنؤجل ذلك يوماً واحداً... ما رأيك؟»

في تلك اللحظة، كان التفكير بطريقة منطقية مستحيلاً. «ما تظنّه الأفضل.»

«آه، أعلم ما هو الأفضل.» قال هامساً: «لسوء الحظ إنه لا فرق الآن.»

لم تستطع التذكر متى حدث ذلك، لكن يبدو أن يديها تركتا معصميه والتفتا حول قميصه. بدا صدره قوياً وعظيماً، قلبه يخفق بسرعة وبقوّة تحت راحتي يديها. كانت تتساءل إذا كان نبضها بنفس سرعة نبضه.

خطأ. أرادت ماريان أن تصرخ في وجهه، لكنها لم تستطع.

قبل دقائق كانت غير قادرة على تحريك رقبتها؛ أما الآن فقد كانت تحرّكها، تديرها، تقوّسها، تسأل ـ لا، تطلب أن يعانقها مرّة ثانية مثلما فعل تلك الليلة على الرصيف. رضخ كريمر وبدا وكأنه يفعل ذلك بملء إرادته، محاصراً المعركة. تنهد مرّة أخرى وأتى الصوت من أعماقه. كانت ماريان تختبر تجديداً لذاتها. أحست وكأنها كانت نائمة لفترة طويلة واندفعت فجأة نحو الحياة. مثل وردة تكافح ثلج الشتاء.

ابتعد كريمر عنها أسرع مما ارادت. التقت عيناه عينيها. كانت تعلم أن عينيها مليئتان بالأسئلة، لكنه لم يعطها أي جواب.

تراجع إلى الخلف ووقف بسرعة.

«كريمر.» قالت له وهي مصدومة لأنه قد تركها بهذه السرعة.

نظر إليها وعندها رأت الحسرة على وجهه. حسرة ممزوجة بالعاطفة. «أنت متعبة جداً، على الوقوف. اذهبي إلى النوم وسوف ننسى نحن الاثنان أن ذلك قد حدث. مفهوم؟»

ذهلت لدرجة أنها لم تستطع الإجابة، فهزّت رأسها. ربما استطاع كريمر نسيان ذلك، لكنها تعلم أنها لا تستطيع.

«اقفلي الباب خلفي، وفي المرّة القادمة لا تستعجلي كثيراً لمعرفة الطارق. لا يوجد بواب هنا.»

هزّت رأسها مرة أخرى. وقفت وتبعته إلى الباب. مُبقيةً إياه مفتوحاً.

«اللعنة، آني، لا تنظري إليّ بهذه الطريقة.»

«أية طريقة؟»

«هذه الطريقة.» قال لها مُتّهماً، ثم هزّ رأسه ببطء وكأنه يريد توضيح أفكاره. مسح وجهه وتنهّد، ثم ضغط باصبعه بقوة على ذقنها. «سوف نبدأ مجدّداً غداً صباحاً. لن يحدث المزيد من هذا.»

أفاقت ماريان في الصباح التالي على صوت ضربات كريمر القوية الغاضبة على الآلة الكاتبة الكهربائية. تثاءبت ماريان بصوت مرتفع، وهي تمّط ذراعيها عالياً فوق رأسها وتقوّس ظهرها. إنها ليلتها أولى في شقتها الجديدة وقد نامت ملء جفونها. كانت الأريكة التي تحولت إلى سرير كبير طري، يكاد أن يغرقها داخله لكنها كانت تعبة جداً ولم تهتم لأمرها.

تواصلت طباعة كريمر القوية معظم النهار. لم تكن ماريان تتوقع رؤيته، لكن أملها لم يخب عندما رأته. كان مصمماً على تحاشيها وقد نجح في ذلك معظم الأسبوع.

بما أنها وعدت بأن لا تجعل من نفسها مصدر إزعاج،

ابتعدت ماريان عن طريقه أيضاً، بدأت عملها في شركة التنظيفات وكتبت ثلاث مقالات خلال خمسة أيام.

كان العمل في شركة 'استأجر خادمة' مُضنياً وشاقاً. كانت تعمل ثلاثة أيام في الأسبوع خلال فترة بعد الظهر، تلملم نفايات رجال، أصحاب مهن، ولكنهم قذرون. كان على ماريان مقاومة عدم كتابة رسائل قصيرة لهؤلاء الناس طالبة منهم وضع صحونهم الوسخة في حوض الجلي وثيابهم القذرة في سلّة الغسيل.

لقد أوصت وكالة 'استأجر خادمة' بأن العمل المنزلي عملٌ ساحرٌ. ولم يكن كذلك. في الواقع، كان أصعب وأضنى عمل كانت ماريان قد قامت به.

عند نهاية الأسبوع، كانت أظافرها مكسورة ومشقّقة ويداها حمراوين وخشنين.

التقت ماريان كريمر بالصدفة وليس عن سابق تصميم بعد ظهر يوم الجمعة. التقته على درج البناية، فيما كانت راجعة من عند البقال، عندما مرّ بقربها وهو يصعد الدرج بسرعة.

«آني.» توقف منتظراً إياها حتى تلحق به. «إذن، كيف تجري الأمور؟»

لم تكن ماريان تعلم بماذا تجيب، لم تكن تستطيع إعلامهُ بأنها ابتدأت أسبوعها بحفّ قشرة صلبة عن قعر فرن في أحد المنازل التي نظفتها. كما أنها لم تستطع إخباره بأنّ الرجل الذي نظفت له شقته قد أوقع شراباً على سجّادته وأنها قضت ساعة تحاول إزالة البقعة وقد كسرت اثنين من أظافرها خلال تلك العملية.

«حسنة.» قالت كاذبة. «كل شيء ممتاز.»

«دعيني أحمل هذه عنك.»

«شكراً.» أعطته الكيس الوحيد، مؤونة أسبوع من البقالة. بدا كل شيء رائعاً حينما بدأت؛ أحلامها بدت واعدة. من بعيد بدا الواقع شيئاً مختلفاً تماماً.

«إذاً، كيف تجدين التنظيف؟»

«إنه رائع، حقاً رائع.» كان مدهشاً كيف أن الكذبة أتت بسرعة. «أنا أجده... تحديّاً.»

ابتسم كريمر. «أنا سعيد لأنني أسمع ذلك. هل قبضت أوّل راتب لك؟»

«قبضته بعد ظهر اليوم.» كانت في ما مضى تنفق كل أسبوع على تنظيف ملابسها أكثر مما قبضت اليوم عن شهر. ذهب كل المبلغ على بنزين السيارة والطعام ولم يبق سوى بضعة دولارات. مدخولها قليل، لكن عليها أن تنجح.

وقف كريمر أمام بابها وانتظر حتى أخرجت المفتاح من حقيبتها. «أسمعك تطبع في الليل.» قالت له: «هل تعمل في موضوع خاص؟»

«كلا.»

نظرت إليه بحشرية. «كم هي سرعتك في الطباعة؟ ثمانون كلمة في الدقيقة؟ مئة كلمة؟ بالله عليك لماذا لا تستعمل العقل الالكتروني كما يفعل الآخرون؟»

«ستون كلمة في الدقيقة على الكومبيوتر عندما أكون نشطاً. ولمعلوماتك أحبّ آلتي الكهربائية. قد تكون قديمة لكنها تفي بالغرض.»

وجدت مفتاحها أخيراً، ولم تلاحظ نظرته المحدقة، إلى يديها. امسك أصابعها فجأة وسأل: «حسناً، اخبريني ماذا حصل لك؟»

الفصل الخامس

«لم يحدث لي شيء.» أصرّت ماريان بحرارة وهي تحرّر يدها منه.

«انظري إلى أظافرك.» قال لها: «لا يوجد ظفر واحد لم يكسر.»

«إنك تجعل الأمر يبدو وكأنه يجب أن أجرّ أمام خرقة الاعدام، قبل الفجر. كسرت بعض الأظافر هذا الأسبوع. سوف أتابع الحياة.» برغم أنها كانت تحاول تخفيف الأمر، فقد كان كل ظفر مكسور بمثابة خسارة صغيرة لها. كانت تفخر بأظافرها الجميلة.

ضاقت عيناه وهو يستجوبها: «هناك شيء لم تخبريني به.»

«لم أعرف أنك عيّنت نفسك الأب الذي يجب أن اعترف له.»

لَمَعَ الغضب في عينيه الداكنتين وهو يأخذ المفتاح من أصابعها من دون مقاومة. فتح الباب، وضع يده على كتفها وأمرها بالدخول: «يجب أن نتحدث.»

«لا، ليس علينا ذلك.» مشت ماريان إلى داخل الشقة، وضعت الكيس في المطبخ، واستدارت لتواجه جارها. «اسمع، أيها الوغد، لقد جعلت الأمر واضحاً جداً، إنك لا تريد أن يكون لك شأن معي. هذا خيارك وأنا بالطبع لن أضجرك بتفاصيل حياتي المؤسفة.»

تجاهل كلماتها وتابع سيره في الغرفة الصغيرة ووقف قرب النافذة. ملأ وجوده الغرفة، فبدت أصغر من المعتاد. استدار بحدّة موجّهاً إصبع اتهام نحوها: «هذه الأظافر المكسورة، هل سببها ممسحة الغبار، أليس كذلك؟ بالله عليك ماذا تفعلين؟»

لم تُجبه ماريان على الفور. كانت غاضبة، واهتمامه المفاجيء بسلامتها أغضبها أكثر. «لقد قلت لك من قبل، لست بحاجة إلى حارس.»

«لم تعملي بنصيحتي وقبلت بذلك العمل السخيف. أي واحد بنصف عقل، قد يعلم أنه لن...»

«هلا توقفت عن التصرّف وكأنك مسؤول عني؟» أجابت ماريان بسرعة.

«لا أستطيع ذلك. أنا مسؤول عنك. لو لم أكتب تلك المقالة اللعينة لما كنت هنا. لا أريد التدخل في حياتك أكثر مما تريدينني أن أفعل، لكن لنواجه الأمر، ليس هناك من أحد يهتم بك. عاجلاً أم آجلاً سوف يأتي أحد ويستغلك.»

لقد طفح الكيل، فكرت ماريان. مشت باتجاهه وغرزت أصبعاً في صدره بقوة حتى كادت أن تكسر ظفرها المتبقي. «في حال كنت بحاجة للتذكير، فأنا سيدة نفسي. اتخذ قراراتي بنفسي. سوف أعمل في أي مكان يعجبني. إضافة إلى ذلك، باستطاعتي أن أهتم بنفسي.» استدارت وفتحت الباب. «الآن أخرج بلطف!»

«كلا.»

«كلا؟» ردّدت.

«كلا.» قال مجدداً وعاد إلى جانب النافذة. عقد ذراعيه

على صدره وهو يتنهد فاقداً صبره: «لم تأكلي، أليس كذلك؟ تصبحين متوترة جداً عندما تكون معدتك فارغة.»

«إذا غادرت شقتي كما طلبت منك، فلن يكون هناك من مشكلة.»

«ما رأيك بتناول العشاء معي؟»

فوجئت ماريان بهذه الدعوة. كان إحساسها الأوّل بأن ترفضها. لم تنقصه الجرأة بأن يدعوها، بعد أن أمضى أسبوعاً كاملاً متجاهلاً حتى وجودها.

«ماذا إذاً؟» سألها.

«أين؟» كأن ذلك مهمّ وهي التي تتضوّر جوعاً، وكانت فكرة مشاركته الطعام أكثر إغراءً مما كانت تريد الاعتراف به، حتى لنفسها.

«المطعم المعتاد.»

«هل ستطلب التشيلي؟»

«هل ستطلبين منهم أن ينزعوا الخضار من سندويشتك؟»

تردّدت ماريان. لقد اربكتها مشاعرها المتضاربة. كانت منجذبة جداً إلى كريمر ومعجبة بموهبته. كل مرة يلتقيان، كانت تأمل بأن يصبحا صديقين... أكثر من صديقين. لكنه كان يغضبها أو يترك شعورها محطماً. يبدو أنه عينّ نفسه حارسها الشرعي. عندما لا يكون في صدد إصدار القوانين. يتجاهلها وكأنها ليست سوى مصدر إزعاج. وفوق كل ذلك، كانت تكذب على أهلها بسببه! يبدو ذلك غير عادل، لكن...

«سوف أطلب الحلوى.» أضاف مبتسماً.

ادركت ماريان، على الفور، أن هذه الابتسامة اصابتها بالهزيمة القاضية، وبرغم ذلك بقيت تقاوم.

«كما يقدمونها، عادةً؟»

اتّسعت ابتسامته. «إنك تساومين على الكثير.»

التقت عينا ماريان بعينيه برغم أن كريمر كان يغضبها كثيراً، ظهرت ابتسامة على شفتيها.

اتفقا على أن يلتقيا بعد نصف ساعة. وهذا يفسح الوقت كي تفرغ كيس البقالة وتغير ملابسها وتجدد زينتها. وجدت نفسها تتمتم وهي تضع أحمر الشفاه، متسائلة إذا كانت تعلّق آمالاً أكثر من اللازم على هذا العشاء العشوائي.

عندما أتى كريمر إلى بابها لاصطحابها، لاحظت ماريان أنه قد غير ثيابه وارتدى سروال جينز وكنزة صوفية كالتي يرتديها صيادُ السمك. كانت المرة أولى التي تراه فيها من دون المعطف، ما عدا ذلك اليوم عندما لعب كرة السلة مع أولاد الحي. لقد بدا مليحاً. حسناً، اعترفت مُكْرَهَةً، إنّه يبدو رائعاً.

«لقد غيّرت ثيابك.» قالت قبل أن تتمكن من منع نفسها، ممتنة على الأقل لأنها لم تبالغ بطرح مشاعرها نحوه.

«كذلك فعلت أنت. إنك تبدين جميلة.»

«شكراً.»

«قبل أن أنسى، أريد أن أخبرك أنه سيتم إصلاح المصعد صباح الإثنين.»

«حقاً؟ هذا أجمل خبر سمعته طيلة هذا الأسبوع.» هل بإمكانها تحمّل كل هذه الأخبار السعيدة في وقتٍ واحد؟ أولاً دعاها كريمر إلى موعد، والآن لم يعد عليها صعود أربعة طوابق كل يوم بعد الظهر. بالفعل، بدأت الحياة تبتسم في وجهها.

لاحظت ماريان أن كريمر يقود السيارة في الاتجاه المغاير للمطعم، عندما أصبحا على بعد عدة ابنية من مكان سكنهما.

«هل تحبين الطعام الصيني؟» سألها.

«أجل، أحبّه.»

«لا يوجد في مطعم الداينر عمّال كفاية. احدى النادلات استقالت. فكّرت أن الطعام الصيني قد يكون لذيذاً وأعدك أننا لن ننتظر طويلاً للحصول على طاولة.»

بدا ذلك لماريان جزءاً من الجنة. لم تعلم ماريان كم كان هاماً قرار كريمر بأخذها إلى مكان آخر. ربما كان جنوناً، لكن ماريان تمنت أن يعني ذلك أنها أصبحت مميزة بالنسبة له. كأنه أدرك أفكارها، بقي كريمر صامتاً على غير عادته وهما على الطريق قرب منطقة التجارة الدولية لسياتل.

استطاعت ماريان أن تسمع أفكاره. لو كانت امرأة تحبّ المراهنة، لكانت راهنت ببعض المال على الطريقة التي سيجري فيها الحديث على العشاء. أولاً سوف يحاول كريمر السؤال عن المهمات التي يكلفونها بها في الشركة. ثم يحاول إقناعها بترك العمل.

إلاّ أنها لن تدعه يفعل ذلك. فهي سيدة نفسها وقد قالت ذلك مرات عديدة حتى تقنع نفسها بذلك. إذا كان هذا الصحافي يظن أن في استطاعته أن يحملها على تغيير رأيها، بدعوتها إلى العشاء أو بقول بعض الكلمات المنمقة، فهو على وشك أن يتعلم درساً قيماً.

- أثبت المطعم أنه نسخة صينية عن مطعم الغريزي سبون حيث اعتاد كريمر تناول طعامه بانتظام. ما إن دخلا إلى

الغرفة الضيقة حتى اشتمت ماريان رائحة التوابل والزيوت في الهواء. علمت قبل أن تأكل لقمة واحدة أن الطعام سيكون من أفضل الأطعمة الشرقية التي تذوقتها في حياتها.

رحبّ رجل صيني طاعن في السن بكريمر كما لو كان أحد أفراد عائلته. تبادل الاثنان بعض الكلمات بالصينية قبل أن يرافقهما الرجل إلى طاولة. صرخ باتجاه المطبخ، وقُدّم لهما بسرعة إبريق شاي من الخزف المزخرف.

لم يعطلكريمر وماريان لائحة طعام. بدأ الطعام بالظهور على طاولتهما منذ لحظة جلوسهما إلى الطاولة، تقريباً. جاء أولاً طبق المقبلات ثم بعض المأكولات معه، لم تستطع ماريان التعرف عليها. لكنها لشدة جوعها لم تكترث. كل شيء كان شهياً والتهمت بسعادة محتوى الأطباق واحداً تلو الآخر.

«يبدو أنك تعرف النادل جيداً.» علقت ماريان بعد أن انتهى طبق المقبلات، ما كادت تلتقط أنفاسها حتى وصل وعاء من الحساء، كثير التوابل، أحضره نفس الرجل المتقدم في السنّ. توقف وابتسم بفخر لكريمر، ثم رمق ماريان، قبل أن يهزّ رأسه بطريقة معبّرة.

«وانغ سو، صاحب المطعم. كنت صديق ابنه في المدرسة.»

«هل تعلمت بعض الصينية هناك؟»

«نعم، إنني أعرف بعض الكلمات فقط، ما يكفي حتى أفهم ما يقال.» أجاب وهو يلتقط ملعقته.

«ماالذي قاله عندما دخلنا إلى هنا؟ لاحظت أنك لم توافقه الرأي؟»

غمس كريمر ملعقته في الحساء. متجاهلاً سؤالها.

«كريمر؟»

«قال إنك نحيلة جداً.»

هزّت ماريان رأسها، وقد عرفت على الفور أنه يكذب عليها. «لو قال هذا، لكنت وافقت معه.»

«حسناً، حسناً.» تمتم كريمر وهو يبدو غير سعيد: «كان عليّ أن أفكر أكثر قبل إحضار امرأة إلى مطعم وانغ سو. لقد افترض فوراً أن هناك شيئاً شاعرياً بيننا. قال إنك ستعطينني الكثير من الأبناء البارين.»

«ما ألطفه.»

لفتت كلماتها انتباه كريمر فوراً. أوقع ملعقته إلى جانب الصحن محدثاً صوتاً ووضع مرفقيه على الطاولة وحملق بها بحرارة. «لا شيء بيننا، ولن يحدث شيء بيننا أبداً.»

نظرت ماريان إليه بحدّة. «نعم، نعم، يا كابتن.» قالت ساخرة.

«جيد. حسناً، انتهينا، اخبريني عن أسبوعك.»

«أخبرني أنت أولاً عن أسبوعك.» قالت غير مستعدة لتغيير الموضوع بهذه السهولة: «لقد بدوت أكثر انشغالاً مني.»

«ذهبت إلى العمل، عدت إلى المنزل....»

«... عملت أكثر.» أكملت الجملة عنه. ظهر طبق آخر يحتوي على دجاج ساخن وخضر مُحمّصة أحضره وانغ سو، مبتسماً لماريان ابتسامة عريضة. عبس كريمر في وجه صديقه وقال شيئاً بالصينية جعل الرجل يضحك من دون تحفظ. عندما أعار كريمر انتباهه إلى ماريان كان لا يزال عابساً. «باللّه عليكِ لا تشجعيه.»

«ماذا فعلت؟» سألت، وعلى حد علمها أنها بريئة من أي عمل خاطىء.

فكر كريمر قليلاً ثم قال: «لا تهتمي، أنت لا تستمعين للنصيحة.»

وصلت أطباق ساخنة أخرى... مغطاة بالفستق. ثم لحم بقر بالقرفة واللحم المشوي، كل طبق كان مصحوباً بزبديّة من الأرز إلى أن امتلأت كل زوايا الطاولة.

«كنت تخبرني عن أسبوعك.» ذكرته ماريان وهي تمدّ يدها لتناول صحناً في وسط الطاولة المزدحمة.

«لا، لم أكن أخبرك.» قال كريمر معترضاً.

أطلقت ماريان تنهيدة سخرية ومررت إليه صحن الدجاج. «حسناً، فليكن كما تريد.»

«سوف تضجرينني حتى الموت كي تعرفي ما أفعله في أوقات فراغي، أليس كذلك؟»

«طبعاً لا.» إن لم يكن يريدها أن تعرف، إذن لا بأس، لم يكن عندها النية في سؤاله مرة أخرى. تصرفت بلا مبالاة قدر الإمكان، أخذت قطعة سميكة من لحم البقر. غمستها في وعاء صغير من الخردل الحار، الذي بدا أنه مركّز أكثر مما توقعت، فأخذت دموعها تسيل بسرعة.

قدم لها كريمر محرمة ورقية وهو يتمتم في سرّه: «خذي.»

«أنا بخير.» مسحت الدموع عن عينيها ورفّت مرتين قبل أن تتناول كأس الماء. ما أن استعادت رباطة جأشها حتى عادت إلى موضوع الحديث: «بخلاف ذلك، سيد ادامس، أياً يكن الموضوع الذي يملأ وقتك فهذا شأنك.»

«تتكلمين مثل أرستقراطية حقيقية.»

«من الواضح أنك لا تهتم باشراكي معك.»

أطلق تنهيدة مبالغاً فيها. «إنها رواية.» قال لها: «هل أنت راضية الآن؟»

«رواية.» ردّدت ببرودة: «حقاً، وكل هذا الوقت كنت أظنّ أنك تقوم ببعض المهام الطباعية.»

حملق بها، لكن أطراف فمه تحوّلت إلى ابتسامة باردة. «لا أريد أن أتحدث عن موضوع الرواية، موافقة؟ أخشى أن يُخفف ذلك من قيمتها.»

«إنني أفهم ذلك تماماً.»

«اللعنة على كل ذلك يا آني، هلاّ توقفت عن النظر إليّ بهاتين العينين الزرقاوين؟ بدأت منذ الآن أشعر بالذنب حتى من دون ابتسامتك الحزينة.»

«مذنب بأي شأن؟»

أطلق زفرة حادة. «اسمعي.» قال بصوت خافت وهو يميل نحوها: «بقدر ما أكره الاعتراف بهذا، أنت محقة. لا يعنيني أين تعملين ولا كم ظفراً تكسرين أو كم تقبضين، لكن اللعنة على كل هذا، أنا قلق عليك.»

رفعت عيدان الأكل الخشبية في محاولة لإيقافه وقالت: «يبدو لي أنني سمعت هذا النقاش من قبل. في الواقع، إن سماعه مرة بعد مرة أصبح امراً مضجراً.»

أخفض كريمر صوته أكثر من قبل: «لقد كنت مَحْميّة طوال حياتك، أعلم أنك لا تريدينني أن أشعر بأنني مسؤول عما تفعلين... أو عنك. وأتمنى لو لم أكن كذلك. لسوء الحظ لا أستطيع مقاومة ذلك. صدقيني لقد تعبت. أتمدّد كل ليلة

ساهراً أفكر في ما قد تتعرضين له لاحقاً. لا أعلم ما الذي سيحدث أولاً... أنت ترهقين نفسك لدرجة الموت، أو أصاب أنا بالقرحة.»

وقع نظر ماريان على يديها وعلى أظافرها المتكسرة التي كانت متناسقة جداً. «إنها تثير الشفقة، أليس كذلك؟»

رمقها كريمر وعبس. «هلا قدمت لي خدمة شخصية وتركتي العمل في تلك الشركة؟» مرّر أصابعه في شعره وهو يتنهد بقوة. «ليس من السهل أن أطلب مثل هذا، يا آني. إن لم يكن لسبب آخر، فافعلي ذلك لأنك تدينين لي بخدمة، فقد وجدت لك شقة. لكن بالله عليك اتركي ذلك العمل.»

لم تُجبهُ في الحال. أرادت أن تفعل ما طلب منها، لأنها كانت قد بدأت بالوقوع في حبّه، لأنها تتوق إلى مراضاته. وبرغم ذلك، أرادت أن ترفض توسلاته وطلباته، لأنه أربكها وجعلها مليئةً بأحاسيس غير مفهومة.

«إذا كان ذلك يساعد؛ فأنا أعدك بأن لا أتدخل مرة أخرى.» قال لها بصوت خافت يكاد يكون همساً.

«كخدمة شخصية لك.» ردّدت وهي تهزّ رأسها ببطء.

التقت عيناهما لفترة طويلة. أزاح كريمر خصلة شعر عن وجنة ماريان برقة، وكأن ذلك خارج عن إرادته. كانت لمسته ناعمة كعناقه. مكثت أصابعه على وجنتيها وكل ما استطاعت ماريان أن تقوم به هو أن لا تضع يدها فوق يده وأن لا تغمض عينيها حتى تتمتع بالشعور الغامر الذي كان يلفّها.

ضاقت عينا كريمر الداكنتان، وكان بإمكانها أن تلاحظ أنه يقاوم رغباته. استطاعت قراءة ذلك في كل ملامح وجهه

الوسيم. لم يكن يريد أن ينجذب إليها؛ كان ذلك واضحاً.

أخفض كريمر نظره وكأنه أراد قطع الإتصال مع عينيها. لم تدرِ إن كان ذلك إرادياً أم لا، فقد تحرك إبهامه نحو شفتيها، محاولاً الوصول إلى زاوية الفم. ثم، وبحركة مفاجئة، سحب كريمر يده وعاد إلى طعامه، وبدأ يأكل بسرعة وبطريقة آلية.

حاولت ماريان الأكل، لكنها فقدت شهيتها. رفض وانغ سو أخذ المال، برغم أن كريمر حاول جاهداً إقناعه. عوضاً عن ذلك، قال الرجل العجوز شيئاً بالصينية جعل كل الجالسين في المطعم ينظرون نحو ماريان. ابتسمت بلطف وهي تتساءل، ما الذي قاله وجعل كريمر العظيم يحمر خجلاً.

رحلة العودة إلى الشقة كانت صامتة مثل رحلة الذهاب إلى المطعم. فكرت ماريان بأن تسأل كريمر عما قاله وانغ سو قبل أن يخرجا، لكنها قرّرت تأجيل السؤال.

أخذا وقتهما في صعود الدرج إلى الطابق الرابع وهما ساكتين تماماً. «هل تدخل وتشرب قهوة؟» سألت ماريان عندما وصلا إلى بابها.

«لا أستطيع الليلة.» قال كريمر بعد فترة من السكوت.

«أنا لا أعضّ، كما تعلم.» لم تتحرك عيناه عن عينيها. إنه يهواها... كان باستطاعتها الإحساس به كما أحست به قبلاً خلال العشاء.

«أودّ أن أنهي الفصل الذي أكتبه.»

إذاً، هو مصمم على ابعادها عنه مرة ثانية، ورفع ذلك الجدار بينهما عالياً. «لا تعمل كثيراً.» قالت وهي تفتح باب

الشقة. كانت خيبة أملها واضحة، لكنها تمكنت من إخفائها بهزّة من كتفيها. «شكراً على العشاء. لقد كان شهياً.»

دسّ كريمر يديه في جيبيه. قد يكون ذلك من خيالها. لكنها ظنت أنه فعل ذلك متجنباً لمسها. أرضت الفكرة غرورها وابتسمت له بحرارة.

كانت على وشك إغلاق الباب عندما أوقفها. «ماذا؟» سألته.

كانت عيناه داكنتين وحارقتين كما لم تراهما من قبل. «هل تبقيك طباعتي ساهرة في الليل.»

«كلا.» قالت له وهزت رأسها تأكيداً: «يبدو أن الكتاب يسير جيداً.»

أومأ برأسه ثم أطلق تنهيدةً. «اسمعي، هل من الممكن...» توقف قليلاً ثم بدأ من جديد: «هل أنت مشغولة غداً مساءً؟ معي بطاقتين لمسرح سياتل الفني وكنت أتساءل...»

«أحب كثيراً أن أذهب.» قالت بلهفة حتى قبل أن ينهي السؤال.

من خلال التعابير على وجهه، تبين لها أن الدعوة كانت مفاجئة له بقدر ما كانت مفاجئة لها. «أراك غداً، إذن.»

«أجل.» أجابت بسعادة: «غداً.»

كان عصر ذلك اليوم رائعاً، مزيجاً مثالياً من النسيم العليل واشعة الشمس. تمشت ماريان فوق عشب حديقة فولنتير وهي تلتقط أوراق الشجر في طريقها. كانت قد أمضت الصباح في الأبحاث بشأن مقالة كانت تأمل أن تبيعها لمجلة محلية وقد قرّرت أن تأخذ فترة راحة.

كان ملعب كرة السلة ممتلئاً بعدة مراهقين وقد ميزت اثنين من اللذين ساعدوها في نقل أغراضها. بما أنّه كان لديها بعض الوقت لتتمتع به. توقفت ماريان لمشاهدة المباراة الحماسية. جلست إلى طاولة، ساقاها تتأرجحان وهي تستمتع بالطقس المشمس. كان كل شيء يسير على ما يرام. لقد استطاعت ومن دون أية صعوبة الحصول على عمل آخر. على الأرجح، لن يوافق كريمر عليه، لكن ذلك كان مؤسفاً.

«مرحباً.» اقتربت فتاة في حوالي الثالثة عشرة من عمرها، مرتدية سترة من الجينز وجوارب سوداء سميكة، من الطاولة حيث ماريان. «أنت خطيبة السيد ادامس، أليس كذلك؟»

أحبت ماريان التفكير على هذا النحو. «ما الذي يجعلك تسألين؟»

«لقد انتقلت للعيش معه، أليس كذلك؟»

«ليس بالتحديد، إنني أعيش في الشقة المجاورة.»

«لم أصدق إيدي عندما قال إن للسيد ادامس خطيبة. لم يحضر أبداً أحد للعيش معه من قبل. إنه ليس من هذا النوع، أظنك تفهمين ما أعني.»

كانت ماريان تفهم. كانت تتعلم أن لا تأخذ تصرفاته نحوها بشكل شخصي. كلما تعرفت على كريمر أكثر توضح لها أكثر من أنه يعتبر كل النساء مصدر إزعاج. عندما التقيا لأول مرة، ذكر أنه وقع في الحب مرة، لكن نبرته كانت عادية حتى جعلت قصة الحب تلك تبدو غلطته القديمة. لقد تكلم عن التجربة وكأنها غَنَثٌ القليل أو لم تعن شيئاً البتة. لم تكن ماريان واثقة من أنها صدقت ما قاله.

«السيد ادامس إنسان نزيه. كل الشبان يحبونه كثيراً.»

ابتسمت الفتاة، مقترحةً أنها واحدة من المعجبات به: «أنا غلوريا ماترسون.»

مدّت ماريان يدها لمصافحتها. «ماريان سمبسون.»

ابتسمت غلوريا بخجل. «إن لم تكوني امرأته. هل أنت... حبيبته؟»

«ليس تماماً. إننا صديقان فقط.»

«هذا ما قاله عندما سألته عنك.»

«أوه.» لم يبدُ الأمر وكأنها توقعت أن يعترف بأشياء أخرى.

«يأتي السيد ادامس من وقت لآخر ويتحدث معنا في الحديقة. أظن أنه يتحقق ويتأكد من أن أحداً منا لا يتعاطى المخدرات أو يتورط مع العصابات.»

ابتسمت ماريان. يبدو طبيعياً أن يقوم كريمر بذلك.

«إن بعض الشبان هنا أغبياء، كما تعلمي، أظن أن اثنين منهم كانا على وشك دخول تجربة من هذا النوع، غرّر بهما لتجربة ذلك لولا تدخل السيد ادامس.»

«هاي، غلوريا.» صرخ شاب من وسط ملعب كرة السلة: «تعالي إلى هنا، يا امرأة.»

تنهدت غلوريا بصوت عالٍ، ثم صرخت: «دقيقة.» استدارت نحو ماريان. «أنا لست في الواقع صديقة إيدي. إنه يحب أن يفكر كذلك.»

ابتسمت ماريان. تمنت لو كانت تستطيع قول الشيء نفسه عن كريمر وعن نفسها. «سُررت بمعرفتك، يا غلوريا. قد أراك في الجوار.»

«سوف يكون ذلك رائعاً.»

«غلوريا.» صرخ إيدي: «هل أنت قادمة أم لا؟»

هزّت المراهقة رأسها. «لا أعلم لماذا أستمر بعلاقتي معه؟»

خرجت ماريان بعد ذلك من الحديقة. أوّل شيء لاحظته عند وصولها إلى المنزل كان ظرفاً ملصقاً على بابها.

انتظرت حتى دخلت إلى الشقة لقراءته، ما إن فتحته حتى وجدت تذكرة وورقة صغيرة: «لقد اضطررت للبقاء في المكتب. تُرفع الستارة في الثامنة، لا تتأخري.»

خاب أمل ماريان كثيراً لأن كريمر لن يصحبها في سيارته إلى المسرح فقررت أن تطلب سيارة أجرة. عندما وصلت السيارة في السابعة والنصف كانت ماريان جاهزة. ارتدت أفضل لباس سهرة عندها، تنورة طويلة من المخمل الأسود وسترة ملوّنة متناسقة مع قميص حريري أبيض اللون، ووضعت قرطي اللؤلؤ في أذنيها.

كان المسرح من أجمل المسارح في المدينة، وغنّى قلب ماريان بحماس بينما الدليل يرشدها إلى مقعدها. لم يكن كريمر قد وصل بعد وكانت تنظر حولها متوقعة وصوله.

كانت الستارة على وشك أن تُرفع عندما وصل رجل صنفته من النوع الغني والساحر بعض الشيء. وجلس في المقعد الخالي قربها.

«أرجو المعذرة.» قال وهو يميل نحوها، مبتسماً بحرارة: «أنا غريف برادلي. أرسلني كريمر ادامس.»

لم تستغرق ماريان أكثر من ثانيتين كي تدرك ما فعل كريمر. هذا الجرذ السافل قد تدبر لها هذا الموعد مع

شخص يظنّه ملائماً أكثر لها. رجل، يعتقد أن لديه بعض القواسم المشتركة معها. شخص غني وبارع. شخص قد يوافق والدها عليه.

«أين كريمر؟» سألت ماريان. انحنت نحو قدميها والتقطت حقيبة يدها. شدّتها بقوة لدرجة أنها كادت تقطع السلسلة الذهبية.

أحسّ غريف بالمفاجأة من سؤالها الحاد. «تعنين أنّه لم يناقش هذه السهرة معك؟»

«لقد دعاني إلى هذه المسرحية. لقد قدّرت... لقد ظننت أننا سنحضر المسرحية معاً. لم يقل كلمة عنك. أنا آسفة لكن لا يمكنني القبول بهذا الإتفاق.» ما أن همت بالمغادرة حتى ارتفعت الستارة.

زادت حدة غضبها عندما تبعها غريف إلى الممر. «أنا متأكد أنه حصل سوء تفاهم.»

«طبعاً حصل.» قالت ماريان بصوت عالٍ مما استرعى انتباه بعض الحضور الجالسين قرب الممر. أسرعت نحو المخرج وكان غريف يحاول اللحاق بها.

«هل تعطيني دقيقة لأشرح لك...»

«ليس ذلك مهماً.»

«هل أنت ماريان سمبسون من سكان نيويورك؟»

«نعم.» قالت وهي تتجه إلى الخارج. وقفت على حافة الرصيف، رفعت يدها وصرخت: «تاكسي!»

التف غريف حولها ووقف أمامها. «بالطبع ليس ثمة من حاجة للإسراع هكذا. كان كريمر يقدم لي خدمة كبيرة.»

«ويقدم لي خدمة نتنة. اسمع، سيد برادلي، تبدو سيداً

محترماً جداً، ولكنت سعيدة بالتعرف إليك لو كانت الظروف مختلفة. لكنه حصل سوء تفاهم رهيب.»

«لكن...»

«أنا متأسف، أنا حقاً آسف.»

اقتربت سيارة الأجرة نحوها محدثة صوتاً قوياً عند التوقف.

فتح لها غريف الباب الخلفي وهو يبدو أكثر سحراً من أي وقت مضى. «لا أعلم إذا كان قلبي سيشفى، فأنت حقاً جميلة.»

تنهدت ماريان. كان الرجل يبالغ، لكنه لم يكن يستحق المعاملة التي عاملته ماريان بها. ابتسمت واعتذرت مجدداً، ثم التفتت نحو السائق بسرعة وأعطته العنوان.

أشعلت ماريان سيجارة خلال الطريق إلى منزلها. نادراً ما أحست نفسها غاضبة لهذه الدرجة. إذا ظنّ كريمر أن بإمكانه لعب دور الخاطب معها، فهو على وشك أن يعلم أن كل ما سمعه عن الصهباوات صحيح.

«يا، آنسة، هل أنت بخير؟» سألها سائق التاكسي.

«أنا بخير.» قالت بسرعة.

«ذلك الرجل الذي كنت معه هناك في المسرح لم يحاول شيئاً معك، أليس كذلك؟»

«لا، شخص آخر حاول، إلاّ أنه لن ينجو بفعلته هذه.» انعطف السائق بالسيارة نحو شارعها. «تلك البناية هناك.» قالت له ماريان. تناولت محفظتها من حقيبتها وأخرجت بعضاً من مالها القليل وأضافت إلى الاجرة اكرامية سخية. ثم ركضت داخل البناية غير آبهة لثيابها أو كعبها العالي.

للمرة أولى منذ انتقالها إلى الشقة، لم تتوقف ماريان لترتاح في الطابق الثالث. دفعها غضبها للصعود حتى باب شقة كريمر. كانت تسمع صوت الآلة الكاتبة في الداخل، وزاد الصوت من غضبها. دقّت على الباب بقبضتها وهي تتنفس بصعوبة.

«انتظر لحظة.» سمعته يقول متذمراً.

نظرة الذهول على وجهه، عندما فتح الباب، كان يمكن أن تكون مضحكة لو كانت الظروف مختلفة. «ماريان، ماذا تفعلين هنا؟»

«ما فعلته كان ماكراً ونتناً، أيها الجرذ المتواطىء، والمخيّب للآمال!»

تمالك كريمر نفسه بشكل رائع. دفن يديه في جيبيه وابتسم بشكل غير مبالٍ. «يبدو أنك وغريف برادلي لم تتفقا؟»

www.rewity.com Dalyia

الفصل السادس

كانت ماريان مستاءة لدرجة أنها لم تستطع إيجاد الكلمات التي تعبر عن غضبها. فتحت فاها وأغلقته مرتين قبل أن تتمكن من النطق.

«لقد قلت لك سابقاً إنني لا أريدك أن تتدخل في حياتي، وقد عنيت ما قلت.»

«كنت أقدم لك خدمة.» قال كريمر، غير متأثر بانزعاجها. في الواقع، تثاءب بصوت عالٍ واضعاً يده على فمه. «غريف سمسار أسهم وهو صديقي كما أنه انسان رائع. لو كنت اعطيته نصف فرصة لكنتِ اكتشفت ذلك بنفسك. أظن أنكما ستصبحان صديقين حميمين. لمَ لا تحاولين؟ قد تصيبين الهدف.»

«الشيء الوحيد الذي أتمنى أصابته هو أنت.» فاضت دموع الغضب من عينيها. «لا تحاول ذلك مجدداً أبداً. هل تفهم؟» ومن دون أن تنتظر جوابه، التفتت بسرعة إلى الوراء ومشت نحو شقتها وفتحت الباب. أغلقته بقوة، هزت نوافذ الطوابق الثلاثة الأخرى في المبنى.

أخذت تزرع الغرفة جيئة وذهاباً. حبست أنفاسها. أدركت أنها تشفي غليلها. تركت باب شقتها مفتوحاً وهرعت إلى شقة كريمر مرة أخرى. دقت على الباب مرتين بقوة أشد من المرة السابقة.

فتح كريمر الباب، وعلى وجهه تعبير وكأنه ضحية. عقد حاجبيه مستغرباً: «ما غرضك، هذه المرة؟»

«إضافة إلى ما قلت، أنت أكبر جبان عرفته في حياتي. لو ما زلت أعمل في الجريدة، لكنت كتبت مقالة أخبر فيها كل سياتل أي نوع من الرجال أنت.» اهتز صوتها قليلاً، لكن ذلك لم يخفف من حدة غضبها.

عادت إلى شقتها، وقبل أن تمضي دقيقتان على وجودها فيها سمعت طرقاً على الباب. لم يفاجئها وجود كريمر على الباب. ربما بدا هادئاً لكن كانت شرارات الغضب تلمع في عينيه. ضاقت عيناه قليلاً وهو ينظر إليها.

«ماذا قلت لتوك؟» سألها.

«لقد سمعتني. لست سوى جبان، جبان، جبان!» وأغلقت الباب بقوة مما سبب سقوط صورة العائلة المعلقة على الحائط على الأرض. لحسن الحظ لم ينكسر زجاج الإطار.

التقطت ماريان بينما كان صدرها يعلو ويهبط، الصورة عن الأرض، نظفتها وأعادتها إلى مكانها بحذر. كانت يداها ترتجفان. ما كادت تنتهي من مهمتها حتى دق كريمر على بابها مرة ثانية.

«ماذا تريد الآن؟» سألته وهي تفتح الباب: «كنت أظن أنك فهمت رسالتي.»

«لقد فهمتها جيداً، لكنها لا تعجبني.»

«قاس.» كانت تود أن تصفع الباب مرة أخرى، لكن قبل أن تفعل ذلك، سمعت خبطاً قوياً على أرض الطابق. ومن دون أن تعرف مصدر ذلك، صوت من كان، تراجعت ماريان إلى الوراء لا شعورياً.

أطلق كريمر تنهيدة عميقة، وعرفت ماريان أنه يحاول استعادة رباطة جأشه.

«حسناً يا سيدة ماكبرايد.» صرخ كريمر: «سوف نخفض صوتنا.»

«من هي السيدة ماكبرايد؟»

«السيدة التي تقطن في الطابق تحتك.»

«أوه.» كانت ماريان غاضبة لدرجة أنها لم تلاحظ بأنها كانت تصرخ بصوت عالٍ، سمعه نصف سكان البناية. كانت تشعر بالخجل لفقدانها السيطرة على نفسها، وبالذنب لأنها ازعجت جيرانها... لكنها لا تزال غاضبة من كريمر.

حملق الرجل بها. «هل تظنين أن بإمكاننا مناقشة الموقف من دون اشراك الجيران معنا؟» سألها بحدّة: «أو تفضلين الانتظار حتى يتصل أحد بالشرطة ويوقفوننا بسبب الازعاج؟»

حملقت به بتحدٍ. «مُضحك جداً.» قالت وهي تستدير وتدخل إلى شقتها. وكما ظنت، فقد تبعها كريمر إلى الداخل.

دخلت ماريان إلى المطبخ. أعطاها تحضير القهوة بعض الدقائق حتى تستجمع كرامتها، التي أُسيء استعمالها مثلما أُسيء استعمال باب شقتها. امتزج الألم الحاد مع الغضب وشعرت بطعنة في قلبها. تفكير كريمر الحقير بها والذي دفعه إلى تمريرها لرجل آخر بهذه السهولة كان مؤلماً بما فيه الكفاية. لكن ظنّه بأنه يقدم خدمة لها كان مُذِلاً حقاً.

«آني، أرجوك اسمعيني...»

«هل خطر لك أن تدبير لقاء لي مع غريف قد يُهينني؟» قالت وهي تصرخ في وجهه.

بدا كريمر بليداً في الإجابة. «نعم.» قال أخيراً: «لقد خطرت لي هذه الفكرة. حاولت أن أكلمك باكراً بعد الظهر لكنك لم تكوني موجودة ولم أجد من اللائق أن ابعث لك رسالة. لذلك أخترت الطريق الأسهل وتركت غريف يعرف عن نفسه. لم أكن أعلم أنك ستأخذين الموضوع على محملٍ شخصي.»

«كيف كان علي أن آخذه؟»

حدق كريمر بعيداً بعدم ارتياح. «لنقُل إنني كنت آمل أن تقابليه وقد تمضيان السهرة معاً محاولين التعرف على بعضكما البعض أكثر. ينحدر غريف من عائلة مرموقة و...»

«هل من المفروض أن يؤثر ذلك بي؟»

«إنه من النوع الذي قد يُدبر لك والدك لقاء معه.» قال كريمر بصوت خشن.

«كم مرّة يجب أن أقول لك إنني لست بحاجة لأب ثانٍ؟» ذكره لعائلتها ذكرها بالطريقة التي خذلتهم بها، مما جعلها تشعر بندم شديد.

تمتم بصوت خافت ثم هز رأسه: «من الواضح أنني تصرفت خطأ. هل ينفع الاعتذار؟»

اعتذار، حتى اعتذار صادق، لن يزيل لوقت طويل الألم الذي أصبح يغلف قلبها. نظرت إلى الأعلى، وهي على وشك أن تخبره بذلك عندما التقت عيناهما.

وقف على مسافة قريبة منها، وعندما رأت الرقة الشديدة الظاهرة في تعابير وجهه، أحست بخفقان قلبها الشديد

وأنه يكاد أن ينزلق إلى قدميها. كانت تعلم أنه يجب أن تطرده من بيتها وأن ترفض الكلام معه من جديد. لن يلومها أحد. كانت تحاول استجماع غضبها الذي أخذ بالتلاشي، لكن شيئاً، لم تستطع تفسيره، مَنعها من ذلك.

بدا أن عواطفها قد زادت من شفافية ادراكها. لم تكن تشعر بكريمر كرجل مثلما تشعر الآن. بدت اللحظات غنية، المسافة بينهما تتقلص وتجذبهما الواحد نحو الآخر. كان في إمكانها أن تشم رائحة الصابون الذي يستعمله وأن تسمع موسيقى المطر المتراقص على نافذتها. لم تكن لاحظت، حتى تلك الساعة، أنها كانت تمطر.

«أنا آسف.» قال بهدوء.

هزت ماريان رأسها ومسحت الدموع عن عينيها. لم تكن من النساء اللواتي يبكين بسهولة وكانت دموعها مُفاجئة لها.

«هل ما قلته عني بأنني جَبان، صحيح؟» قال كريمر وهو يتنهد بقوة: «لقد اخفتني، يا آني.»

«تعني مزاجي؟»

«لا، إني أستحق ذلك.» ابتسم تلك الابتسامة الوقحة.

«ما تجده فيّ، غير جذّاب؟» كان عليها أن تعرف ما الذي يبعده، غير آبهة بما قد تفعله الحقيقة بكرامتها.

«غير جذّاب؟» ضحكته المفاجئة كانت مليئة بالسخرية. «أتمنى لو أجد فيك شيئاً، أي شيء، غير جذّاب، لكنني لا أستطيع.» أخفض نظره ورجع خطوة إلى الوراء وتنحح. عندما تكلّم من جديد، كانت كلماته مفاجئة وسريعة: «كنت مرتاحاً معك أكثر مما قبل أن نلتقي.»

«لقد ظننت أنني مبتدئة.»

«اعتقدت أنك فتاة مدللة وامرأة غير ناضجة... لقد توقعت أن أجدك طموحة وأنانية، متشوقة للتأثير على والدك بكل وسيلة تستطيعين القيام بها، غير آبهة للأشخاص الذين تدوسين عليهم في طريقك. ولكن بعد أن اشتركنا في المقابلة الاذاعية بذلك النقاش بين المشاهير، اكتشفت أن هذه الأفكار غير صحيحة.»

«لكن لماذا...»

«الشيء الذي عليك فهمه.» أضاف كريمر بقوة، «هو أنني لا أريد التورط معك.»

«لقد فهمت رغبتك هذه، بوضوح.» رطبت شفيتها وحوّلت نظرها نحو الأرض، خائفة من أن يلاحظ كيف جعلها تحس بهشاشة نفسها.

أصبح فجأة في مواجهتها، قريباً لدرجة أن نَفَسَهُ دفأ وجهها. بحركة ناعمة من إصبعه، رفع ذقنها، حتى أصبحت عينيها في مواجهة عينيه. «كنت أقول لنفسي طوال السهرة، كم كنت نبيلاً.» قال لها: «غريف برادلي يناسبك أكثر مني بكثير.»

«توقف عن قول ذلك!»

لفّ ذراعيه حول خصرها وجذبها نحوه. «لن يكون هناك شيء بيننا أبداً.» قال وقد تحشرج صوته: «لقد تعلمت درساً منذ سنوات عديدة، ولن أكرّر تلك الغلطة.» لكن بخلاف ما كان يقول، اقترب منها وعانقها ثم ابتعد عنها.

«لم يكن من المفترض أن يحصل هذا.» قال متمتماً.

«لن أخبر أحداً، إن لم تفعل أنت.» قالت هامسة.

«فقط تذكري ما قلت.» همس بالمقابل: «لست بارعاً مع الفتيات الغنيّات. لقد اكتشفت ذلك مسبقاً. بطريقة صعبة.»

«سوف أتذكّر.» قالت بنعومة وهي تنظر إليه.

«حسناً.» ثم عانقها مرّة أخرى.

مرّت ثلاثة أيام لم تلتقِ ماريان كريمر فيها. لم تكن بحاجة ليخبرها أحد بأنه يتحاشاها. مرّة أخرى، ربّما ظن أن وقوعه في حبّها قد يحطّم حياته المنظّمة. لو أعطاها الفرصة، لكانت أخبرته أنها لا تتوقع منه أن يملأ أيامها. كانت لديها وظيفتها الجديدة وكانت تهتم بترتيب شقتها. والأهم من ذلك، انشغالها بكتابة المقالات فيما يتبقى لها من وقت. كانت قد سألت إدارة مجلة عن امكانية كتابة مقالة مضحكة عن تجاربها في العمل لدى شركة "أستأجر خادمة".

«ها هو كريمر.» همست باربرا وهي تمر قرب ماريان حاملة ثلاثة صحون.

حملت ماريان بسرعة كوب ماء ولائحة الطعام ولحقت بكريمر إلى حيث يجلس. كان في طريقة إلى مقعده عندما رآها. تجهم وجهه وجال بنظرة على الغرفة وحدق في النادلة المتوسطة السن.

لم يظهر على باربرا الخوف. «هيا، ماذا توقعت؟» قالت صارخة: «كانت تنقصنا نادلة وماريان تقدّمت بطلب ووضعت اسمك كمعرف عنها. علاوة على ذلك، إنها عاملة نشيطة.»

لم يكلف كريمر نفسه عناء النظر إلى لائحة الطعام. تناولت ماريان دفترها الأخضر الصغير وهي تقف قرب الطاولة.

«سوف آخذ التشيلي.» أمر بصراحة.

«مع جبنة أو من دونها؟»

«من دون.» قال وهو يصيح، ثم أخفض صوته بسرعة: «منذ متى تعملين هنا؟»

«منذ صباح الإثنين. لا تغضب هكذا. أنت من أخبرني عن هذا العمل. أتذكر؟»

«لا أريدك أن تعملي هنا!»

«لمَ لا؟ إنها مؤسسة محترمة. بصراحة، يا كريمر، ماذا كنت تتوقع مني أن أعمل؟ كان عليّ أن أجد عملاً آخر، وبسرعة. لا أتوقع أن أبيع مقالاً قبل شهر على الأقل. هذا إذا حصل. كان علي أن أجد طريقة لدفع فواتيري.»

«كان بإمكانك أن تجدي مكاناً أفضل من هذا إذا أردت أن تعملي كنادلة.»

«هل نعود إلى النقاش مرّة أخرى؟» سألت بتنهيدة تدل على قلة صبرها.

«كلا.» أجاب متناولاً محرمة ورقية في الوقت المناسب لاخفاء عطسةٍ قوية.

نظرت إليه ورأت أن أنفه قد احمر وعينيه تدمعان. في الواقع كان يبدو في حالة مزرية. «هل تعاني الزكام؟»

«هل أنت دائماً ذكية لهذه الدرجة؟»

«أحاول أن أكون كذلك. وسوف أحاول أن أتجاهل فظاظتك. هل تريد كوباً من عصير الليمون وحبتين من الأسبرين؟»

«كلا، يا فلورانس نايتنغيل، كلّ ما أريده هو زبديّة التشيلي المعتادة، من دون جبنة. هل فهمت ذلك؟»

«نعم، طبعاً.» قالت وهي تدوّن ذلك. بدا كريمر وكأنه حقاً في مزاج عَكِر، لكن ذلك لم يكن ذلك بجديد. كانت ماريان تقوم على خدمة الأسوأ منه.

لاقتها باربرا عند الصندوق. «بدا من النظرات التي كان يرمقني بها صديقك وكأنه يتمنّى لو يقطع لي رأسي. ما به، على أي حال؟»

«لا أظن أنه بصحة جيدة.» أجابت ماريان بصوت قلق وخافِت.

«الرجال، وخاصة المرضى منهم، هم أطفال كبار يمشون على هذه الأرض.» قالت باربرا باستياء: «يلتقطون فيروساً صغيراً ويظنون أن على أحدٍ أن يسجل برنامجاً وثائقياً عن حالتهم الصحية الخطرة؛ نصيحتي لك هو أن تتركيه يتخبط في بؤسه بمفرده.»

«لكن يبدو أن حرارته مرتفعة.» همست ماريان.

«أليس راشداً كفاية حتى يأخذ حبة أسبرين بنفسه؟» نظرت المرأة الأكبر سناً نحوه. «طلبه جاهز. أتريدينني أن أحمله إليه؟»

«كلا...»

«لا تقلقي، إذا تحامق معي سوف أضربه على رأسه. هذا الرجل بحاجة لمن يضعه في مكانه المناسب.»

تناولت ماريان زبدية التشيلي. «سوف أقوم بذلك.»

«أجل.» قالت باربرا وهي تبتسم ابتسامة عريضة. «عندي شعور أنك سوف تفعلين.»

• • •

وصلت ماريان إلى المنزل بعد عدة ساعات. كانت تحس بألم في ظهرها وقدميها، لكنها أحست بشعور غامر من الرضا. بعد ثلاثة أيام من العمل كنادلة، كانت قد بدأت بحفظ الطلبيات وتذكر كل ما عليها القيام به. لم يكن العمل الذي تتمناه، لكنها كانت تؤمن منه مدخولاً يكفيها للعيش، طبعاً مالاً أكثر من الذي كانت تكسبه في العمل الآخر. ليس ذلك فقط، فالاكراميات كانت جيدة أيضاً. لم تجرؤ ماريان على تخيل ما قد يقوله أهلها لو علموا. كانت تعاني من شعور بالندم كلما فكّرت بالطريقة التي تخذلهم بها. في الواقع، كان من الأسهل عدم التفكير بالموضوع كلّه.

بعد ردّة فعله أولى، لم يعد كريمر يأتي على ذكر العمل في ذلك المكان. من الواضح أنه لم يكن مُغتبطاً، لكن ذلك لم يفاجئها. القليل من الأمور، أعجبه أو حظي بموافقته منذ أن تعرفت إليه.

تعوّدت ماريان على النوم كل ليلة على صوت طباعة كريمر، كانت تجد نفسها تنصت إليها وهي في السرير. لكنها لم تسمعه خلال تلك الليلة أو الليلتين التاليتين.

«كيف حال كريمر؟» سألتها باربرا بعد ظهر يوم الجمعة.

«لا أدري.» لم تكن ماريان قد رأته منذ أيام.

«يبدو أن مرضه شديد.»

كانت ماريان تكره طريقة تصرّف قلبها. لقد حاولت عدم التفكير به، لكنها لم تنجح في ذلك...

«لم تظهر مقالته في الجريدة طيلة الأسبوع. نشرت الصن بعض المقالات القديمة، مقالات كريمر الكلاسيكية. هل

قرأت مقال الليلة الماضية؟» سألت باربرا وهي تضحك.

في الواقع، كانت ماريان قد قرأت المقالة وتسلّت كثيراً. وكعادتها دائماً، فقد تأثرت بذكاء كريمر الحاد. لقد اختلفا كثيراً، كان كريمر ذا نظرة تشاؤمية، لكنها لم تستطع منع نفسها من الإعجاب بمهارته في اختيار الكلمات.

منذ أن وجدها كريمر في المطعم، لم يعد يتناول طعامه هناك. لم تعتبر ماريان ذلك غريباً. لقد حاول المستحيل حتى يتأكد من عدم لقائهما ببعضهما بعضاً. لقد شعرت بمرارة أنها مذنبة في إبعادهِ عن مطعمه المفضل. لكن في النهاية كان ذلك خياره.

في نهاية دوامها، كانت ماريان تناضل لإبقاء كريمر بعيداً عن تفكيرها. كانت شقته هادئة على غير عادة، خلال الأيام القليلة الماضية، ولم تهتم للموضوع. إلا أنها الآن أخذت تتساءل.

«هل تظنين أنه بخير؟» سألت ماريان باربرا في وقت لاحق.

«إنّه ولدٌ كبير.» كانت المرأة الأكبر سناً سريعة في تذكيرها: «باستطاعته الاهتمام بنفسه.»

لم تكن ماريان واثقة تماماً. بعد العمل، أسرعت ماريان إلى المنزل، معتقدة بأنها ستجد كريمر قد شارف على الموت، مريضاً جداً لدرجة أنه لا يستطيع الإتصال بطبيب. لم تتوقف قرب شقتها، بل ذهبت مباشرة إلى شقته.

دقت بادب بابه، وتوقعت كل أنواع الكوارث عندما لم تسمع جواباً.

«كريمر؟» طرقت على بابه وهي تصرخ باسمه، مُحاولة مقاومة الهلع الذي اعتراها. تخيلته مُمدّداً على سريره، يتألم،

أو أسوأ من ذلك. «كريمر. أرجوك افتح الباب.» قالت راجية، متسائلة إذا كان أحد السكان يملك مفتاحاً آخر للشقة.

بدا لها وكأنها انتظرت ساعات قبل أن يفتح لها الباب.

«هل أنت بخير؟» سألته، وشعرت براحة عندما رأته وحاولت جاهدة منع نفسها من الارتماء في أحضانه. شعرت بالراحة حين نظرت إليه جيداً.

«كنت أحسّ أنني بخير.» أجابها بسرعة: «حتى اضطررت للنزول عن السرير وفتح هذا الباب اللعين. فقد استيقظت على صوت الطرق.»

ضغطت ماريان بأصابعها على فمها حتى تمنع تلك الضحكة الهستيرية. لو شعر كريمر بالسوء نفسه الذي يبدو عليه، لتوجب عليها أن تفكر جدياً الاتصال بالإسعاف. كان يرتدي سروالاً قطنياً، رمادي اللون ورداء مربع النقشات ذا لون باهت، بدا وكأنه كان ملجأً للعثّ لسنوات. اختياره للملابس كان آخر ما يفكر به. كان يشبه شخصاً يستفيق من حالة هذيان، دامت أربعة أيام. كانت عيناه حمراوين ووجهه شاحباً. عبس في وجهها وكان واضحاً عندما تكلّم أن طبعه كان تماماً مثل مظهره.

«أظنّ أن لهذه الزيارة، من دون دعوة، سبباً؟» قال بتوتر ثم عطَسَ بقوّة.

«نعم...» أجابت ماريان وهي لا تدري ماذا ستفعل: «أردت فقط أن أطمئن عليك.»

«حسناً، لقد رأيتني. سوف أتابع حياتي، لذلك يمكنك الذهاب وضميرك مرتاح.» كان يود أغلاق الباب إلاّ أن ماريان تقدّمت ودخلت الشقة.

خلال الأسابيع التي سكنت فيها ماريان قربه، لم تر منزله ولا مرة واحدة. أعجبتها المفروشات الجلدية والأرضية ذات الطلاء اللمّاع. ابتسمت على الرغم من قلقها على حالته؛ لقد ذكّرتها هذه الغرفة بشخصية كريمر، بسبب الأوراق والكتب المتناثرة في كل مكان من الغرفة. بدت شقته بضعف حجم شقتها، حتى أنها صدمت من سعتها.

«في حال أنك لم تلاحظي، فأنا لست بمزاج لاستقبال الزائرين.» أعلمها بصوت واثق.

«هل رأيت طبيباً؟»

«كلا.»

«هل أنت بحاجة لشيء؟»

«السلام والهدوء.» قال متمتماً.

«قد يكون عندك نزلة شُعبية أو مصاب بذات الرئة أو شيء آخر.»

«أنا بحالة جيدة جداً. على الأقل حتى رأيتك.» مشى فوق سجادة، من النوع العجمي ذات لونين أخضر وذهبي، لاحظت ماريان على الفور، وارتمى على أريكة عليها بعض الوسادات والشراشف. كان التلفاز يعمل، لكن الصوت كان خافتاً جداً.

«لماذا لم تذهب إلى العمل إذاً؟»

«إنني في إجازة.»

«شخصياً. كنت أخترت جزيرة استوائية لقضاء العطلة بدل أريكة في منزلي.» تقدّمت متعمدة نحو المطبخ، وتوقفت فجأة عندما رأت الصحون الوسخة في حوض الجلي. كانت مندهشة من قدرته على حشو كل هذه الأشياء في مكان ضيّق كهذا.

«يبدو هذا المنزل في فوضى تامة!»

«هيا اذهبي واتصلي بدائرة المحّة إذا كنت مهتمة إلى هذه الدرجة.»

«أظن أن علي القيام بذلك.» لكن بدل ذلك، توجهت رأساً إلى المطبخ، رفعت أكمامها إلى أعلى وبدأت بوضع الصحون فوق بعضها البعض على جانب الحوض.

«ماذا تفعلين الآن؟» صرخ كريمر من غرفة الجلوس.

«أنظّف.»

تمتم شيئاً لم تستطع سماعه، وربما كان ذلك أفضل.

«إذهب واستلقِ، يا كريمر.» قالت آمرة: «عندما انتهي من هنا، سوف أحضر لك بعض الحساء. عليك أن تستعيد قواك كي تعود إلى المعاناة بشكل جيد.»

في البدء، ترك ذلك التعليق ثم وكأنه أخذ يستنزف قدرته على الاحتمال حتى أقصى الحدود، ناداها من الداخل: «إن أسلوبك في العناية مؤثر فعلاً.»

«كنت آمُلُ أن تلاحظ.» لم تهتم ماريان لمدى وساخة الصحون التي تغسلها. ما أشعرها بالارتياح هو أنها كانت تقوم بشيء لأجله.

مرّت مدة ربع ساعة من دون أن يتبادلا أية كلمة. عندما انتهت ماريان من المطبخ، ألقت نظرة إلى غرفة الجلوس ولم تفاجأ عندما رأته نائماً على الأريكة. نظرت إليه فأحست بشعور غريب يغمر قلبها. كان ينام على ظهره ويداه معقودتان على جبهته. كانت ملامحه مسترخية، لكن لم يكن فيها شيء ملائكي.

أحست ماريان بدافع قوي لإزاحة الشعر عن جبهته،

لملامسته، لكنها قاومت رغبتها. كانت تخشى إيقاظه. وكانت تخشى أكثر أن لا تتمكن من التوقف عن ملامسته.

تقدمت إلى غرفة الجلوس، أطفأت التلفاز، التقطت بعض الأشياء من هنا وهناك ورتّبت بعض أكداس المجلات. عليها الذهاب الآن؛ كانت تعلم ذلك. لن يرحّب كريمر ببقائها. نظرت إلى الباب بأسف، باحثة عن عذر لإطالة بقائها. أغمضت عينيها واستمعت إلى صوت تَنَفُّس كريمر.

وجدت ماريان نفسها بالصدفة واقفة أمام آلة الطباعة. شعرت بالشجاعة، وأخفضت نظرها نحو كدسة الأوراق الموضوعة قرب الآلة. بعدما ألقت نظرة وراءها للتأكد من أنه لا يزال نائماً، قلبت ماريان بحذر الصفحة العليا وقرأت بسرعة المقطعين الأخيرين من الصفحة ٢١٢. لم تكن الرواية قد انتهت بعد، لكن كان في استطاعتها القول إنها توقفت عند مقطع مهمّ.

كان كريمر كتوماً جداً بما يخصّ مشروعه ولم تجرؤ على التدخل في خصوصياته أكثر مما فعلت في السابق. قلبت الورقة الوحيدة بكل ترتيب، متأكدة من أنها وضعتها في مكانها المناسب.

مرّة أخرى، ذكّرت نفسها بأن عليها العودة إلى شقتها، لكنها أحست بنفسها غير راغبة في إنهاء تلك اللحظات مع كريمر. حتى مع كريمر النائم الذي سيكون متعكّر المزاج حتماً، عندما يستيقظ.

بحثت عن طريقة لإشغال نفسها، توجهت نحو الحمام وهي تلتقط بعض الأوراق الوسخة في طريقها. لم يكن سريره مرتباً. ستفاجأ لو وجدته في حالة غير هذه. كانت

الشراشف والأغطية تتدلى على الأرض، والثياب مبعثرة في كل الإتجاهات.

من دون أن تتساءل عن الحكمة في تصرفاتها، جمعت الغسيل الوسخ لأخذه إلى الغسالة المشتركة في الطابق الأرضي. وضعته في كيس نفايات كبير وشرعت في تنظيف الشقة. الكنس والمسح والفرك كانت كلها مهارات تعلمتها أثناء عملها في استأجر خادمة.

التفتيش في الثلاجة كان مغامرة مضحكة. وجدت قارورة شراب مختومة، كرتونة من قشور البيض المكسور وقليلاً من البقدونس. بدا تحضير طعام من تلك البقايا مستحيلاً، لذلك بحثت ماريان في كل أرجاء الشقة حتى وجدت مفاتيحه. ثم، حملت كيس الغسيل الوسخ وخرجت من الباب وأغلقته بلطف.

عادت بعد نصف ساعة، وهي تحمل «كيسين من مواد البقالة اشترتها من مال الاكرامية. لحسن حظها كان كريمر لا يزال نائماً. نظرت إليه وابتسمت قبل أن تبدأ بتحضير عشائه.

كانت تُقشّر البطاطا في المطبخ عندما سمعت كريمر ينهض. أكملت مهمتها وهي واثقة من أنه سوف يلاحظ وجودها عما قريب. تسمّر في مكانه عندما اكتشف ذلك.

«ماذا تفعلين هنا؟»

«أحضر لك العشاء.»

«لست جائعاً.» قال بسرعة من دون إظهار أي امتنان لمجهودها.

اتسعت عيناه عندما نظر حوله: «يا إلهي، لقد نظفت المكان.»

«لم أظنّ انك ستلاحظ.» أجابت بنعومة، وهي تضع في فمها قطعة بطاطا نيئة: «سوف أجعل الحساء يغلي قبل أن أتركك مع... راحتك الفكرية. قد يستغرق ذلك عشر أو خمس عشرة دقيقة، هل تستطيع تحمليّ كل هذه المدّة؟»

عبس كالعادة قبل أن يختفي. لم تمض ثانيتان حتى صرخ بصوت عالٍ كافٍ لهزّ قرميد السطح.

«ماذا حدث لسريري؟» سأل وهو يعصفُ في المطبخ.

«لقد رتبته.»

«ماذا فعلت أيضاً؟ اللعنة، لم يعد الإنسان بأمان في منزله بوجودك.»

«لا تغضب هكذا. كل ما فعلته هو ترتيب المكان بعض الشيء. كان في فوضى تامة.»

«أنا أحب الفوضى، أنا أفلح في الفوضى. آخر ما أنا بحاجة إليه هو نزوة نظافة تغزو بيتي وتُنظّم حياتي.»

«لا تبالغ.» قالت ماريان بحزن، وهي تضيف بعض الجزر المقطع إلى الحساء.

«كل ما فعلته كان التقاط بعض الأشياء من هنا وهناك وغسلت بعض الثياب المتسخة.»

«غسلت ثيابي أيضاً؟» انفجر وهو يمرّر كلتا يديه في شعره. الله وحده يعلم ما كان سيفعل لو علمَ أنها قرأت كلمة واحدة من مخطوطته الثمينة.

«لقد جمعت كل شيء ووضعته في مكانه، لذا ليس عليك أن تقلق.» غادر كريمر المطبخ فجأة ليعود بعد دقيقتين. دار حول الطاولة ببطء، ثم أخذ نفساً عميقاً.

«اسمعي، يا آني.» بدأ بحذر: «ليس أنني لا أقدّر ما

فعلته، لكنني لست بحاجة لممرضة. أو مدبرة منزل.»

نظرت إليه بعينيها الواسعتين. «إني أوافقك الرأي.» أجابت.

«توافقينني الرأي؟» وهز كتفيه. «إذن لن تستائي؟»

«لا، ولمَ أستاء؟»

«لا لسبب.» أجابها وهو ينظر إليها بارتياب.

«كنت أفكر أن ما تحتاجه حقاً.» قالت وهي تبتسم بلطف: «هو زوجة.»

الفصل السابع

«زوجة.» ردد كريمر. اتسعت عيناه الداكنتان وبدا عليه الرعب بوضوح. كأن ماريان قد اقترحت عليه أن يصعد إلى سطح المبنى ويرمي بنفسه على الأرض.

«لا تتحمس كثيراً، لن أتطوع لهذه الوظيفة.»

وجه اصبعاً نحو وجهها وكأنه مسدس. تمشى كريمر حول طاولة المطبخ بخطوات قلقة. دار حول الطاولة مرتين قبل أن يتكلم.

«لقد نظفت منزلي، وغسلت ثيابي والآن تطهين عشائي.» نطق كل كلمة وكأنها اتهام.

«نعم؟»

«لا يمكنك أن تنظري إلي بعينيك الزرقاوين الطفوليتين وتتوقعي مني أن أصدق ذلك.»

«تصدق ماذا؟»

«إنك لا تتقدمين بطلب لهذه الوظيفة. منذ اللحظة أولى التي التقينا فيها أنت تقومين بذلك... هذه الأشياء الأنثوية الناعمة لإغرائي.»

«أشياء أنثوية ناعمة؟» رددت ماريان محاولة لجم نفسها عن الضحك: «لا أظن أنني أفهم.»

«لا أتوقع منك الإعتراف بذلك.»

«ليست عندي أدنى فكرة عمّا تتحدث.»

«تعلمين.» أتهمها مرة أخرى بغضب.

«من الواضح أنني لم أفهم. ما الشيء الذي فعلته وجعلك تظن ذلك؟»

«أشياء أنثوية ناعمة.» قال مجدداً. عضّ على شفته السفلى لبرهة وهو يراجع الموضوع في رأسه. «حسناً، سوف أعطيك مثلاً، ذلك العطر الذي تضعينه دائماً.»

«ويندسايم؟ إن شذاه خفيف.»

«لا أعرف اسمه. لكنه يبقى في الغرفة ساعة أو أكثر بعد أن تذهبي. أنت تعلمين ذلك ومع هذا تضعين منه كل مرة نخرج فيها معاً.»

«إنني أستعمل هذا العطر منذ سنوات.»

«ليس هذا فقط.» تابع بسرعة: «إنها الطريقة التي تنظرين بها إليّ في بعض الأحيان.»

«أنظر إليك؟» لفت ذراعيها حول خصرها ورفعت نظرها نحو السقف.

«نعم.» أجابها وهو يبدو أشد انزعاجاً. ضغط بيده على وركه، رفع ذقنه على طريقة الملوك وحرك رموشه الكثيفة عدة مرات مثل المروحة.

على الرغم من محاولاتها عدم الضحك، ضحكت ماريان بصوت عالٍ. «أتمنى من كل قلبي أن تكون مازحاً.»

أنزل كريمر يده عن وركه. «لست كذلك. تنظرين لي بتلك النظرة البريئة وتدفعين شفتيك إلى الأمام كما لو أن... رجلاً، أي رجل، لايستطيع منع نفسه من عناقك.»

«هذا منافٍ للمنطق.» لكنها عضت شفتيها وأغمضت عينيها.

ارتفع ذراعا كريمر في الهواء. «هذا شيء آخر.»

«ماذا بعد؟»

«الطريقة البريئة التي تظهرين بها احتياجك للمساعدة، مما يجعل أي رجل بسيط يهرع إليك للمساعدة والاهتمام بكل ما يزعجك.»

«أظنك تعلم الآن أنني قادرة تماماً على الإهتمام بنفسي.» أحست ماريان نفسها مُجبرة على تذكيره بذلك.

«أنت نعجة بين ذئاب.» أجابها كريمر بسرعة: «لا أعلم إلى متى تنوين الإستمرار في هذه اللعبة، لكن شخصياً أظن بأنك تبالغين. هذا ليس عالمك، وكلما أسرعت في العودة إلى حيث تنتمين، يكون ذلك أفضل.»

«أفضل لمن؟»

«لي أنا!» صرخ بانفعال. «ولكِ أيضاً.» أضاف برقة، مستدركاً نفسه. كأنها كانت فكرة مستدركة. سعل مرتين وتناول علبة حبوب السعال من جيب رداء النوم. أخذ واحدة ووضعها في فمه من دون تردد.

«لا أظن أن الإنفعال لهذه الدرجة ينفعك.» قالت ماريان بصبر: «كنت أحاول إعطاء ملاحظة فقط وهي لا تزال قائمة. أظن أنك بحاجة إلى زوجة.»

«إذهبي ولاحظي حياة إنسان آخر.» اقترح عليها وهو يمص حبة الدواء بغضب.

«أها!» قالت وهي تلوح بإصبعها نحوه: «ما هو شعورك إذا تدخل أحد في حياتك؟»

عبس كريمر واستدارت ماريان نحو الفرن. رفعت الغطاء عن الحساء لتحركه. ثم خففت النار حتى يغلي ببطء. عندما

انتهت، رأت بفرح أن كريمر كان يقف بعيداً جداً عنها، برغم أنه ما يزال في نفس الغرفة.

«هذا شيء آخر!» قال: «إنك تعطين انطباعاً بأنك موافقة تماماً على ما أقول ومع ذلك تفعلين كل ما يحلو لك. أقسم بأنني لم أتعرف بامرأة أكثر احباطاً منك في حياتي.»

«هذا ليس صحيحاً.» ناقشته ماريان: «لقد تركت وظيفتي في 'استأجر خادمة' لأنك أردت ذلك.» لقد استفادت من ذلك، لأنه أصبح لديها وقت أكثر للكتابة، لكنها لم تخبره بذلك

«آه، حسناً، أثيري هذا الموضوع. إنه الشيء الوحيد الذي فعلته، تبعاً لرغبتي. كدت تقريباً أركع أمامك كي تتركين ذلك العمل، قبل أن تؤذي نفسك.»

«لِمَ تفعل ذلك!»

«ثقي بي، كانت تلك تجربة متواضعة ولا أنوي تكرارها. منذ متى أعرفك؟ شهر؟ يا الهي، يا الهي...» توقف لينظر نحو السقف: «... إنها تبدو وكأنها الأبدية.»

«أنت تحاول جعلي أشعر بالذنب. لن ينجح ذلك.»

«لِمَ يجب عليك أن تشعري بشيء من هذا القبيل؟ السكن بجوارك قد يقود أي رجل إلى الشراب.»

«أنت الذي وجد لي هذا المكان. إذا كان لا يعجبك السكن بقربي، فأنت الشخص الذي يجب أن يُلام!»

«لا تذكريني.» قال متمتماً.

التعليق على وجوب إيجاد زوجة لنفسه كان مزحة، لكن يبدو أن كريمر أخذ الموضوع بجدية. في الواقع بدت مشاعره قوية تجاه هذا الموضوع. عندما لاحظت ماريان

أنه لم يعد مرغوباً في وجودها كثيراً، توجهت نحو الباب.

«كل شيء على ما يرام هنا.»

«هل يعني ذلك أنك تغادرين؟»

كانت تكره الحماس في صوته، كأنه لم يعد يستطيع الإنتظار للتخلص منها. مع أنه لم يكن يعترف بذلك، إلا أن ماريان قد دبرت له مقلباً جيداً. تبادل عادل، افترضت ماريان.لقد كان كريمر كريماً جداً معها خلال الشهر الماضي.

«نعم، أنا ذاهبة.»

«حسنٌ.» لم يكلف نفسه عناء إخفاء سعادته.

«لكنني ما ازال أظن بأنك قد تفعل جيداً لو تفكر في ما قلت لك.» كانت ماريان تشعر بحاجة ملحة لصب الزيت على نار غضبه. «قد تكون الزوجة مفيدة جداً لك.»

عبس كريمر بقوة، عاقداً حاجبيه. «أظن أن المرأة العصرية قد تجد اقتراحك مُذِلاً.»

«ماذا؟ أن تتزوج؟»

«تماماً. ألم تسمعي؟ لم يعد البيت المكان المناسب للمرأة. مكانها في الخارج، في العالم، باحثة عن عمل لنفسها. تعيش حياة كاملة وكل ذلك وليس القيام بالأعمال الدنيوية التي تتكلمين عنها.»

«لم أكن أقترح أن تتزوج لمجرد الحصول على مدبرة منزل.»

ضاقت عيناه البُنّيتا اللون. «ما الذي كنت تقولينه بالتحديد؟»

«إنك إنسان قادر وموهوب.» فسّرت له. رمقت عدة مرات

مخطوطته التي ما تزال موضوعة بترتيب قرب الآلة الكاتبة.

«لكن لسوء الحظ، ذلك لا يعني شيئاً إذا لم يقف إلى جانبك شخص قريب، صديق، شريك... زوجة، لتشاركك إياه.»

«لا تقلقي بشأني يا آنسة مافّيت. لقد عشت حياتي وحيداً منذ أن كنت في الثالثة عشرة. قد تظنين أنني بحاجة إلى أحدٍ ما، لكن دعيني أؤكد لك، لست بحاجة لأحد.»

«إنك محقّ على الأرجح.» اعترفت مشمئزة. فتحت بابه ثم ترددت: «سوف تتصل بي إن أردت شيئاً؟»

«كلا.»

أطلقت تنهيدة غضب. «هذا ما ظننته. سوف يصبح الحساء جاهزاً بعد حوالي الثلاثين دقيقة.»

هزّ رأسه، ثم أضاف وهو يبدو حزيناً بعض الشيء: «أظن أن عليّ أن أشكرك.»

«أنا ايضاً أظن أن عليك ذلك، لكنه ليس ضرورياً.»

«ماذا عن المال الذي صرفته على مواد البقالة؟ لا يمكنك تحمل مصاريف إضافية، انتظري لحظة وسوف...»

«إنس الموضوع.» قالت بسرعة: «أستطيع صرف مالي على أي شيء يعجبني. أنا سيدة نفسي، أتذكر؟ يمكنك أن تدين لي فقط. اشترِ لي العشاء يوماً.» وغادرت قبل أن يتمكن من قول أي شيء.

بدت شقة ماريان خالية وموحشة بعد أن عادت من شقة كريمر. أول شيء قامت به كان التجول في الشقة وإضاءة الأنوار. ما كادت تنتهي حتى سمعت طرقاً قوياً على الباب. فتحت الباب لتجد كريمر يقف مرتدياً ذلك الرداء الذي كان عرضة للعث، وهو يحدق بها بشراسة.

«نعم؟» سألته بلطف.

«لقد قرأت مخطوطتي.» صرخ بصوت تردّدَ صداه في كل أنحاء الشقة.

«طبعاً لم أفعل ذلك.» أنكرت بحدة. قوّمت ظهرها وكأنها تقترح أنها وجدت السؤال مهيناً.

ومن دون انتظار دعوة، دخل كريمر إلى غرفة الجلوس ثم استدار ليصبح في مواجهتها.

«اعترفي!»

قالت ماريان، محاولة جعل كل كلمة واضحة قدر الامكان: «لم أقرأ مخطوطتك الثمينة. كيف كان بإمكاني التنظيف، غسل الثياب، تحضير حساء شهي ويبقى عندي وقت لقراءة ٢١٢ صفحة من المخطوطة؟»

«كيف علمت أنها كانت ٢١٢ صفحة.» تتطاير الشرر من عينيه وهو يؤنبها. سهام من التأنيب.

«آه...» قالت وهي تبتلع لعابها متضايقة: «... كان تخميناً، هكذا بدت لي.»

«لم يكن تخميناً.»

مشى متوجهاً نحوها وكلما خطا خطوةً إلى الأمام كانت تخطو هي واحدة إلى الوراء. «حسناً.» اعترفت بذنبها: «لقد نظرت إليها، لكنني أقسم بأنني لم أقرأ سوى بضعة أسطر. كنت أرتب غرفة الجلوس و... كانت المخطوطة هناك، فقلبت الصفحة الأخيرة وقرأت بضعة مقاطع.»

«أها! أخيراً الحقيقة!» دلّ كريمر عليها مباشرة. «لقد قرأتها حقاً!»

«بضعة أسطر فقط.» ردّدت بصوت ناعم وهي تشعر بتعاسة تامة.

«و؟» خفّت حدة نظرته.

«وماذا؟»

«ما رأيك؟» نظر إليها منتظراً جواباً، ثم عبس. «لا بأس، لم يكن عليّ أن أسأل.»

تقدمت ماريان خطوة وهي تفرك راحتي يديها ببعضهما. «كريمر، إنها رائعة. ذكية ومشوقة جداً و... كنت مستعدة لإعطاء أي شيء مقابل قراءة المزيد. لكنني كنت أعلم أنني لن أجرؤ لأن... لأنني كنت أتدخل في خصوصياتك... وهذا شيء لا أريد القيام به، لكنني قمت به، وأنا في الحقيقة لم أكن أريد... ذلك.»

«إنها جيدة، أليس كذلك؟» سأل ثم قست تعابير وجهه بسرعة.

ابتسمت، وهي تهز رأسها بحماس. «أخبرني عنها.»

بدا متردداً، ثم اخبرها بحماس فكرة الرواية: «إنها عن صحافي يدعى ليو، وجد نفسه متورطاً في جريمة قتل. في الواقع، أنا أكتب سلسلة وهو البطل الأساسي. هذه لم تنته بعد ـ وأنا متأكد أنك تعلمين ذلك.

«هل هناك امرأة في حياة ليو؟»

«أنت تمزحين، أليس كذلك؟»

لم تكن ماريان تمزح. لقد ذكرت الأسطر القليلة التي قرأتها، مادي التي كانت تبدو في خطر. كان ليو مضطرباً جداً ويحاول إنقاذها.

«لم يكن من شأنك أبداً قراءة تلك المخطوطة.» ذكرها كريمر.

«أعلم، لكن الإغراء كان قوياً جداً. لم يكن علي التدخل، لقد لاحظت ذلك، لكنني لم أستطع منع نفسي. كريمر، إنني لا أكذب عندما أقول إن تلك السطور كانت جيدة. هل تفكر بناشر معين؟ إذا كنت لا تعرف أحداً، فعندي عدة ناشرين وهم أصدقاء لي في نيويورك، قد أوصي بواحد وأعلم...»

«لن أستعمل أياً من نفوذك في نيويورك. لا أريد أي شيء يتعلق بدار نشر والدك. مفهوم؟»

«طبعاً، لكنك تبالغ في تصرفك.» لقد اصبح يبالغ في تصرفاته كثيراً في الآونة الأخيرة. «لو أراد والدي أن ينشر فقط أعمال أصدقائي لكانت أعماله متدهورة كثيراً، أليس كذلك؟ صدقني، سوف يشتهر الكتاب بسرعة وإذا كانت عندك فكرة عن سلسلة مُستعملاً شخصية ليو...»

«قلت لا.»

«لكن...»

«أنا أعني ذلك، يا آني. هذا كتابي وسوف أنشره بنفسي من دون مساعدة أحد.»

«إذا كان ذلك ما تريد.» أجابت بأسف.

«هذا ما سوف يكون.» عادت النظرة الصارمة إلى مكانها. «الآن، وإذا كنت لا تمانعين سوف أعود بهدوء إلى عالمي الصغير الفوضوي، من دون زوجة والتداخلات التي لا تحصى من جار ما.»

«لن أحاول مضايقتك مرة أخرى.» قالت ماريان بسخرية، لأنه هو الذي غزا منزلها هذه المرة.

«سوف أقدر لك ذلك.» قال وكأنه يتجاهل لهجتها.

«منزلك هو لك ومنزلي هو منزلي، وسوف أحافظ على خصوصيتك مع أقصى الإحترام.» قالت ولهجتها ما تزال ساخرة. دفنت يديها في جيبيها ولمست اصابعها على شيء معدني بارد.

«حسناً.» كان كريمر يهز برأسه. «الإختلاء بنفسي، هذا ما أحتاج إليه.»

«كريمر...»

«م، كريمر...» ثم توقفت: «هذا محرج بعض الشيء، لكن يبدو أن معي...» ترددت مرة أخرى ثم قومت كتفيها. «أظن أنك ستكون شاكراً أن أرد لك مفاتيحك الآن.»

«مفاتيحي؟» قال كريمر صارخاً.

«لقد وجدتها لتوي. كانت في جيبي. ما كان في برادك هو قليل من البقدونس فلم أستطع صنع حساء منه لذلك كان علي الذهاب إلى الدكان ولم أتجرأ على ترك بابك مفتوحاً و...»

«مفاتيحي معك؟»

«نعم.»

فتح يده، ناظراً إلى السقف. وضعت مفاتيحه في يده وبدت وكأنها نشال قبض عليه بالجرم المشهود ثم تراجعت خطوة إلى الوراء. خائفة من أن يلتقطها من كتفيها ويهزها. كان ذلك سخيفاً طبعاً.

غادر كريمر في الحال وتبعته ماريان إلى الباب، وهي تحدّق به في الممر عائداً إلى شقته.

• • •

في الخميس التالي، كانت ماريان تحضر نفسها للذهاب إلى العمل عندما رنّ جرس الهاتف. تجهمت ونظرت إلى الجهاز، متسائلة إذا كان عندها الوقت لتجيب. قد يكون كريمر، لكن كل أحاسيسها أخبرتها النقيض. لم يتحدثا خلال أسبوع كامل. كل بعد ظهر، في الوقت نفسه، كان يصل إلى مامز دانير. وكثيراً ما كان يطلب التشيلي. انتظرته ماريان كثيراً لكنه كان يهتم بآلته أكثر مما يهتم بها. إن قلة اهتمامه بها جرحت كرامتها. إلا أن تصرفه لم يكن ليفاجئها.

«آلو.» قالت بتردد وهي ترفع السماعة.

«ماريان.» أجابت أمها، وهي ترفع صوتها بسعادة: «لا أصدق أنني وجدتك أخيراً. كنت أحاول ذلك طوال الأيام الثلاثة الماضية.»

أحست ماريان فجأة بالذنب. «لم تتركي رسالة على هاتفي؟»

«أنت تعلمين كم أكره هذه الأشياء.»

كانت ماريان تعلم ذلك. وكانت تعلم أيضاً أنه كان عليها الاتصال بأهلها، لكنها لم تكن واثقة إلى متى سوف تستمر في هذه المهزلة. «هل كل شيء على ما يرام؟»

«أجل، طبعاً. والدك يعمل كثيراً، لكن هذا ليس بالشيء الجديد. الصبية منشغلون بلعب الكرة ويكبرون بسرعة.» انخفض صوت أمها قليلاً: «كيف حال العمل؟»

«العمل؟»

«مهمتك الخاصة.»

«آه، تلك.» لم تكن ماريان بارعة في خداع أمها من قبل،

وكانت تتساءل إذا كانت تنجح الآن. «إنه يسير على ما يرام. إنني أتعلم الكثير.»

«أظن أنك ستصبحين مراسلة صحيفة رائعة، يا عزيزتي، والسرية في هذه المهمة تجعلها أكثر جرأة. متى سنعلم، والدك وأنا ماذا تفعلين تماماً؟ إننا فضوليان.»

«سوف أنتهي منها قريباً.» اختلست ماريان نظرة إلى ساعتها وكانت على وشك أن تنهي الحوار عندما سألتها أمها: «كيف حال كريمر؟»

«كريمر؟» قفز قلب ماريان إلى حنجرتها. لم تتذكر أنها ذكرته من قبل ومجرد سماع اسمه أشعرها بدفء في جسدها.

«لقد بدوت سعيدة معه عندما تكلمنا عنه آخر مرة، أتذكرين؟»

«كنت كذلك؟»

«أجل، يا عزيزتي، كنت سعيدة. لقد قلت بأنه موهوب جداً وأنك معجبة به وقد كوّنت انطباعاً أنك منجذبة إلى ذلك الشاب.»

«كريمر صديق جيد. لكننا نتشاجر أكثر من أي شيء آخر.»

ضحكت أمها ضحكة صغيرة. «حسن.»

«كيف يمكن لذلك أن يكون حسناً؟»

«يعني أنكما مرتاحان معاً حتى تكونا طبيعيين، وهذا دليل إيجابي. في البداية، عندما تعرفنا والدك وأنا كنا نتشاجر كثيراً. لم نكن نتفق في أي موضوع. ثم، ذات يوم نظرنا إلى بعضنا، وعلمت

حينها أنني سوف أغرم بهذا الرجل بقية حياتي. وفعلت.»

«أمي، ليس الأمر كذلك بيننا. أنا... أنا لا أظن أنه يحبني.»

«كريمر، لا يحبك؟» رددت أمها. «هذا مستحيل.»

بدأت ماريان بالضحك، لأن أمها بدت متحيزة جداً. بدا شيئاً جميلاً أن تضحك من جديد، جميلاً أن تجد شيئاً ممتعاً. لم تدرك كم كانت كئيبة منذ مواجهتها الأخيرة مع كريمر. فهو ما يزال يحاول جاهداً ابقاءها بعيدة عنه خوفاً... لم تعرف بالتحديد ما الذي أخافه. ربما قد بدأ يقع في حبها ولكن لم تكن هناك مؤشرات إيجابية لذلك، حتى أنه اعتبرها متطفلة على حياته.

تحدثت ماريان لعدة دقائق أخرى مع أمها، ثم أسرعت إلى الباب، آملة أن لا تكون قد تأخرت على عملها.

في المطعم، وضعت مئزرها حول خصرها بسرعة وهبت للمساعدة في ازدحام ساعة الغداء. ولاحظت انها بالتعامل مع الزبائن تكتسب خبرة في التعرف بشخصيات مختلفة، مما يساعدها في كتاباتها، هل يفعل كريمر ذلك أيضاً. أوه... إنها لا تريد التفكير به.

أحست ماريان بدوار وبألم في معدتها خلال فترة عملها.

«هل أنت بخير؟» سألتها باربرا وهي في طريقها لتقديم الطعام لأحد الزبائن.

«أنا... أنا لا أعلم.»

«متى أكلت آخر مرّة؟»

«هذا الصباح. لا، الليلة الماضية. لم تكن عندي شهية هذا الصباح.»

«هذا ما ظننته.» وضعت باربرا الهمبرغر والبطاطا قرب الزبون وعادت إلى ماريان. «الآن وقد نظرت إليك جيداً، تبدين شاحبة قليلاً.»

«أنا بخير.»

«هل أنت واثقة؟»

«أنا حقاً بخير.» كان عندها بداية ألم في الرأس ولكنها لم تكن لتتذمر. ربما لم تكن فكرة جيدة، التخلي عن وجبتي الافطار والغداء، لكنها سوف تعوض عن ذلك عندما تتناول العشاء.

«لست متأكدة من أنني أصدقك.» تمتمت باربرا وهي تتناول دليل هاتف قديماً وتبحث عن رقم. قلبت الصفحات حتى وجدت الرقم الذي تريد ثم تناولت الهاتف.

«بمن تتصلين؟»

وضعت السماعة على كتفها. «كريمر ادامس، ومن غيره؟ يبدو لي أنه حان له أن يقوم بدور الممرضة.»

«باربرا، لا!» كان كريمر آخر رجل تريد أن يهرع لإنقاذها. قد يستعمل ذلك ضدها كبرهان ليؤكد أن عليها العودة إلى منزل أهلها الدافىء. لقد أثبتت تقريباً أن بإمكانها العيش معتمدة على نفسها من دون استعمال المال الموجود في المصرف.

«كريمر غير موجود في المكتب.» قالت باربرا بعد قليل وهي تعيد السماعة إلى مكانها: «سوف أكلمه عندما يأتي إلى هنا لاحقاً.»

«لا، لن تفعلي! باربرا، أقسم لك بأنني سوف أعطي رقم هاتفك لجميع سائقي الشاحنات الذين يأتون إلى هنا إذا قلت كلمة واحدة لكريمر.»

«يا عزيزتي.» قالت النادلة المسنة وهي ترفع حاجبيها إلى الأعلى: «قد تسدين لي خدمة لو فعلت!»

عادت ماريان إلى خدمة الزبائن وهي تقول كلاماً غير مفهوم.

عندما حان وقت الانصراف كانت ماريان بحال أسوأ بقليل. ليست مريضة تماماً، لكنها لم تكن طبيعية أيضاً. كانت باربرا تراقبها عن كثب. تتحسس رأسها ووجنتيها بانتظام وتتمتم بشأن حرارتها.

عندما وصلت إلى المنزل كانت تعلم أنها تعاني من فيروس. أرادت لوم كريمر على ذلك لكنها هي التي بقيت في شقته أثناء مرضه.

ارتدت بيجامتها بعد أن أخذت حماماً ساخناً واندست تحت الأغطية في سريرها. كانت قد أدارت جهاز التلفاز للتسلية وحضرت لنفسها قليلاً من الحساء. فيما أخذت أول رشفة سمعت طرقاً على الباب.

«من الطارق؟» صرخت من الداخل.

«كريمر.»

«أنا في السرير.» قالت بصوت عالٍ.

«لقد رأيتني في رداء النوم ومن العدل أن أراك هكذا.» صرخ بالمقابل.

رتبت ماريان غطاءها جيداً. «إذهب من هنا.»

سُمع صوت قوي صادر من الأرض يبدو أن صراخ ماريان قد قطع على السيدة ماكبرايد برنامجها المتلفز.

«آسفة.» قالت ماريان موجهة حديثها إلى الأرض.

«هل تدعينني أدخل أم أذهب لإحضار مفتاح آخر للباب؟» سألها كريمر.

انتعلت ماريان خفيها وتوجهت نحو الباب غاضبة وفتحته. «نعم؟» سألت بقلة صبر.

لم يقل كريمر شيئاً لفترة. وضع يديه في جيبي معطفه. «كيف حالك؟»

حملقت به ماريان بازدراء. «تعني أنك طرقت على بابي لتسألني ذلك؟»

لم يكلف نفسه عناء الردّ، بل دخل إلى الشقة وكأن ذلك من حقه. «لقد اتصلت بيّ باربرا.»

«آه، يا إلهي! وماذا قالت بالتحديد؟» بقيت تمسك الباب مفتوحاً حتى يفهم قصدها ويرحل.

«إنك قد التقطت المرض مني.» كان صوته خشناً وفيه القليل من القلق.

«خطأ. لقد شعرت بتوعك قبل قليل، لكني الآن بخير.» لم تكن تريد أن يكون كريمر مدفوعاً بسبب شعوره بالذنب. نجح في البقاء بعيداً حتى الآن؛ لو قرر رؤيتها، أرادت أن تتأكد من زيارته بدافع من شعوره بالمسؤولية.

«إنك تبدين...»

«نعم؟» سألته.

تفحصها بنظرة من رأسها حتى أخمص قدميها. «بخير.» أجابها بنعومة.

«كما ترى، إنني لست مريضة تماماً، لذلك لا حاجة لك كي تقلق.»

تبع كلماتها صمت طويل. استدار كريمر وكأنه يريد الخروج. كان عليها أن تشعر بالارتياح لأنه قرر الرحيل، لكن بخلاف ذلك، فقد أحست بأغرب شعور بالخسارة. كانت تود لو تمسك بيده وتطلب منه البقاء، لكنها لم تكن تملك الشجاعة.

رفعت شعرها عن وجهها وابتسمت.

«سوف أمر بك في الصباح وأرى كيف تشعرين.» قال كريمر وهو يقف على العتبة.

«لن يكون ذلك ضرورياً.»

تجهم وقال: «منذ متى أصبحت شائكة لهذه الدرجة؟»

«منذ متى أصبحت ودوداً لهذه الدرجة؟» كادت الكلمات أن تعلق في حنجرتها وخرجت مثل الهمس.

«إنني أهتم لأمرك.» أجابها.

«آه، طبعاً، مثلما تهتم بأخت صغرى. صدقني، يا كريمر لقد وصلت رسالتك واضحة وجلية. أنا لست من النوع الذي تفضل. حسن، يمكنني تقبل ذلك لأنك لست من النوع الذي أفضل أيضاً.» لم تكن هذه فكرتها تماماً، ولكنها تذكرت ما قاله عن انطباعه عندما قابلها لأول مرة: «ها قد أتت المتاعب.»

لم تنجذب يوماً إلى رجل في حياتها بهذه الطريقة، وها هي واقفة أمامه تكذب ملء فمها، مستعدة للمرور فوق الجمر الحارق قبل الاعتراف بحقيقة شعورها.

«إذن، أنا لست من النوع الذي تفضلين؟» سألها بصوت هامس.

أسرعت دقات قلب ماريان. تفحصها بدقة كما فعلت هي أيضاً. واقترب منها ببطء، توقف، وجهه شبه ملاصق لوجهها. بدا وكأنه ينتظر منها التراجع، التخلص منه. كل شيء في داخلها كان يقول لها إن عليها القيام بذلك. كان يحاول إذلالها فقط، أليس كذلك؟ محاولاً إثبات قوة انجذابها إليه، وسهولة تحويل إرادتها.

وتركته يفعل ما يريد.

كان قلبها يدق بسرعة لدرجة أن جسدها بدا وكأنه يهتز من قوة النبضات. بدت كل نبضة وكأنها تقودها إلى ذراعيه، تماماً حيث تتمنى أن تكون. وكان عناقه ناعماً ورقيقاً.

ظن أنها كانت ضعيفة ليعانقها كما أراد، أطلق نفساً قوياً وأرجع رأسه إلى الوراء وكأنه يحملق بالسقف. زفر ببطء.

كبحت ماريان نفسها حتى لا تسأله لماذا توقف. أرادت تلك الأحاسيس أن تستمر. أرادت اكتشاف الاحاسيس التي تنتج عن عناقه والأجوبة المعقدة التي أحست بها في أعماقها.

«حسناً، بما أننا سوينا هذا الموضوع، سوف أغادر.» تراجع بعيداً عنها.

«سوينا ماذا؟» سألت بسرعة، ثم لاحظت أنها تجعل نفسها تبدو حمقاء كبيرة. كان طبعاً يتحدث عن سبب زيارته المفاجئة لها ألا وهو صحتها. اليس كذلك؟ «أوه، إني أفهم.»

«لا أظن أنك تفهمين.» قال كريمر واستدار عائداً إلى بيته.

الفصل الثامن

«الدور على من، الآن؟» سألت ماريان. كانت تجلس مع رفيقتين لها في وسط غرفة الجلوس، على الأرض، ويقمن حفلة بائسة، مثيرة للشفقة.

«إنه دوري.» تطوعت كارول ريڤرساید. سحبت قطعة قماش من العلبة الموجودة في وسط دائرتهن الصغيرة قرب المصباح. كانت زجاجة الشراب الرخيص، الثانية قد شارفت على الإنتهاء، ولم تكن الثلاث يشعرن بأي ألم.

«أردت لسنوات أن يكون لي عمودٌ خاصٌ في جريدة.» قالت كارول وهي ترفع كتفيها وتأخذ نفساً عميقاً. لكنه لم يكن كما ظننت. لقد نفدت منّي الأفكار بعد أسبوع من بدئي العمل.»

«آه.» تنهّدت ماريان وكأنها تواسيها.

«آه.» رددّت باربرا.

«هذا ليس كل شيء.» قالت كارول بحزن: «لم ألاحظ أبداً أن العالم مليء لهذه الدرجة بالنقاد. لا يبدو أن أحداً يوافقني الرأي. أنا... أنا لم أعلم أن في سياتل هذا العدد من القراء المشاكسين. إنني أحاول، لكن من المستحيل إرضاء الجميع. ما يحدث هو أن بعض الناس يحبونني لبعض الوقت ويكرهون ما أكتب في الوقت الباقي.» اختلست نظرة إلى أعلى. «ما عداكما أنتما الإثنين طبعاً.»

هزت ماريان رأسها بقوة حتى كادت أن تقع إلى الأمام. فتحت ذراعيها بالاتجاهين في محاولة للمحافظة على توازنها. جعلها الشراب تتثاءب بصوت عالٍ.

قالت كارول بحزن ظاهر: «أن يكون الإنسان كاتب عمود فهذا عمل شاق ولا يشبه أبداً ما كنت أحلم به.» تدلت أطراف فمها نحو الأسفل. «حتى أنني لم أعد أحبّ الكتابة.» قالت بأسى.

«أليس هذا مثيراً للشفقة!» قالت ماريان وهي ترمي قطعة القماش خاصتها على الأرض داخل الدائرة، فعلت باربرا مثلها ثم ربتتا على كتف كارول برفق.

«لا أدري ماذا كنت سأفعل لولاكما. أنت وبيتي أفضل صديقتين لي في هذا العالم.» قالت مطمئنة.

«باربرا.» قالت ماريان مصححة: «اسم أفضل صديقة لديك هو باربرا.»

نظرن إلى بعضهن وأطلقن ضحكة مدوّية. طلبت ماريان منهما التوقف بحركة من يدها: «توقفا! لا يمكننا السماح لأنفسنا بأن نصاب بالدوار. لا تنجح الحفلة المثيرة للشفقة إذا قضينا الوقت ونحن نضحك. علينا تذكر أن هذا عمل جدي ومحزن.»

«محزن وجاد.» قالت باربرا موافقة. مدّت يدها وتناولت محرمة ورقية نظيفة بانتظار أن تشاركها الآخريان أحزانها وتعطيانها سبباً للبكاء.

«فكرة من كانت إحضار الشراب؟» أرادت ماريان معرفة ذلك وهي ترشف رشفة سريعة.

احمرّت وجنتا كارول: «ظننت أنه قد يسبّب سمنة أقل

من الشوكولا والبوظة اللتين كنت تودين احضارهما.»

«هيا.» قالت باربرا، وهي تنظر إلى ماريان: «لم تخبرينا شيئاً بعد عن مشكلتك.»

وجدت ماريان أنه من الضروري أخذ ضمادة من سروالها الجينز. إن مشاركة ما يزعجها هو أكثر تعقيداً من الإصابة بخيبة أمل في عملها أو التذمّر من كون أظافرها تنكسر بسرعة، مثلما فعلت باربرا. لم تبع مقالة واحدة منذ أن تركت عملها في الجريدة. لكن الأسوأ من كل ذلك أنها بدأت تقع في حب كريمر. هو شعر بشيء نحوها أيضاً، كانت تعلم ذلك، لكنه كان يحاربها في كل خطواتها. يحاربها ويحارب نفسه أيضاً.

كان مُنجذباً إليها، لم يستطع نكران ذلك، برغم أنه حاول أكثر من مرّة. عندما يكونان وحدهما، يبدو التوتر وكأنه ينبض بينهما.

كان يحارب الانجذاب لدرجة أنه توصل إلى ترتيب لقاء لها مع رجل آخر. منذ اليوم الذي التقيا فيه وكريمر لا ينفك يهينها، يضايقها ويلقي عليها بالمواعظ. لقد أوضح لها أنه لا يريدها بقربه. ومع ذلك كانت هناك أوقات يبحث فيها عن رفقتها. تشاجر معها عند كل فرصة، وأخذ على عاتقه أن يكون حارسها وبعد...

«ماريان؟» قالت كارول وهي تنظر إليها باهتمام. «ما الخطب؟»

«كريمر ادامس.» قالت هامسة. رفعت كأس الشراب إلى فمها ورشفت منه القليل آملة أن يعطيها ذلك الشجاعة كي تتابع.

«كان عليّ أن أخمن.» تمتمت كارول وهي متجهمة: «منذ اللحظة التي انتقلت فيها إلى هنا، قرب منزل ذلك الرجل المجنون، كنت واثقة من أنه لن يسبب لكِ إلا المتاعب.»

لم يكن رأي صديقتها بكريمر إيجابياً وكان على ماريان أن تجبر نفسها على عدم الدفاع عنه.

«أخبرينا كل شيء.» قالت باربرا وهي ترفع ركبتيها إلى أعلى وتلقي بظهرها على الأريكة.

«ليس هناك الكثير لأخبره.»

«هو الذي أوصلك إلى هذا الجنون في بادىء الأمر، أتذكرين؟» كان كلام كارول صحيحاً... كأن ماريان كانت بحاجة لمن يذكرها. عندها، استدارت كارول نحو باربرا وبدأت تشرح لها كيف بدأت القصة: «كتب كريمر مقالاً مهيناً عن ماريان منذ وقت طويل قائلاً بأنها مبتدئة مدلّلة، وهي أخذت الموضوع تحدياً وقرّرت أن تؤكد له أنه مخطىء.»

«لم يكن يقصد ما قاله. في الواقع، لقد ندم على كل كلمة في ذلك المقال.» هذه المرّة أحسّت ماريان أنها بحاجة للدفاع عنه. بالنسبة لها، كان ذلك موضوعاً قديماً وقد أنتهت منه. إنه ذلك الأمر غير المنتهي الذي يجري بينهما الآن، الذي يضايقها أكثر.

النفي، الرفض لقبول العواطف التي يتقاسمان. منذ بضعة أيام، حاولت ماريان إقناع كريمر بأنه ليس من النوع الذي تفضل وليس بينهما من أشياء مشتركة. وكان تواقاً للموافقة.

كانا مُنجذبين لبعضهما، خلافاً لإرادتهما، بانجذاب

مسيطر، لا يقاوم، وكانا ضعيفين تجاهه. هل يمكن لهذا الشعور إلاّ أن يكون حباً؟

«أنت بين أصدقاء، فأخبرينا بكل شيء.» أصرّت باربرا بعدأن قدمت لماريان كل ما في علبة المحارم. «تذكري، إنني أعرف كريمر منذ سنوات، لذا لن يصدمني شيء مما ستقولينه.»

«الشيء أول، إنه مستحيل.» همست ماريان وقد وجدت بعض الصعوبة في التعبير عن أفكارها.

«إنه يستحق أن يُشنق على أقرب شجرة.» قالت كارول بازدراء.

«وفي نفس الوقت هو رائع.» أنهت ماريان حديثها متجاهلة تعليق كارول.

«لست...» توقفت كارول، وقد تجهم وجهها وكأنها كانت تعاني مشكلة في لفظ الكلمات: «لا تعنين أنك مغرمة...» بلعت لعابها: «...به، أليس كذلك؟»

«لست أدري.» وضغطت ماريان على المحرمة في يدها. «لكنني قد أكون.»

«آه، لا.» صرخت كارول وهي تضع كلتا يديها على فمها. يجب أن تفعلي شيئاً وبسرعة. رجل مثل كريمر ادامس يأكل الفتيات الصغيرات، أمثالك على الفطور. إنه متهكّم وساخر و...»

«موهوب وكريم.» أكملت ماريان الجملة عنها.

«أنت لا تفكرين بوضوح. ربما لذلك علاقة بالحرارة التي تعانين منها، عليك أن تتذكري الوقائع. لقد أهانك كريمر في الجريدة، أهانك كثيراً ثم حاول التعويض عليك. أنت

تعطين هذا الشعور أهمية أكبر من اللازم وقد يكون ذلك خطراً.» وقفت كارول وأخذت تزرع الغرفة بخطى مُنتظمة.

«قد يكون واحداً من أكثر الكُتّاب موهبة.» أكملت ماريان، غير آبهة بتخوفات صديقتها: «كلّ مرة أقرأ فيها كتاباته لا أستطيع منع نفسي من الاحساس بالفخر.»

«حسناً.» قالت كارول: «أعترف أنه يملك بعض الموهبة الخلاّقة، لكن ذلك لا يغير ما هو، ومن هو. كريمر ادامس؟ هو انسان ذو طباع حادة وأناني.»

«أنا أكره قول ذلك.» قالت باربرا بنعومة، وهي تهزّ رأسها: «لكن كارول على حق. يتناول كريمر طعامه في مطعم مامز منذ أن بدأت العمل هناك، قبل ثلاثة أعوام. أشعر وكأنني أعرفه أكثر منك، وكل ما قالت عنه كارول، هو صحيح لكن وراء كل ذلك توجد أشياء أخرى. يجب أن يعتقد الجميع أنه ذلك الشاب المميز. إنه يلعب ذلك الدور حتى النشوة، لكن بعد البقاء معه لفترة طويلة، قد يعرف أي شخص، بقليل من المنطق أن كل الأمر بالنسبة له، لعبة.»

«قلت لك إنه رائع!» ردّت ماريان.

«الرجل راسخ.» قالت كارول بإصرار: «دائماً متعكّر المزاج، دائماً يتدخل في ما لا يعنيه، يثير المتاعب. ماريان هي المثال الجيد على ذلك. ما كان يجب أن يكتب ذلك المقال عنها.» التقطت كارول بعض المحارم وأعطتها لماريان. «أنك تغمضين عينيك عندما يدور الحديث عنه. اقبلي نصيحتي، لا يمكن لامرأة أن تسمح لنفسها بالتورط عاطفياً مع شخص تنوي تغييره.»

«لا أريد أن أغيرّ كريمر.»

«لاتريدين؟» قالت كارول مردّدة، صوتها خافت ومشكك.

«أنتما لا تعرفانه كما أعرفه أنا.» قالت ماريان. «كريمر... كريمر الحقيقي. هل تعلمان أنه أصبح بمثابة الأب لكل مراهقي الحي؟ إنه صديقهم بكل ما لهذه الكلمة من معنى. إنّه يراقبهم عن كثب، ويتأكد أن أحداً منهم لا يتورّط بالمخدارت أو مع العصابات. أولاد هنا يحبونه.»

«كريمر ادامس يفعل هذا؟» بدت كارول مشكّكة ورفعت حواجبها على شكل قوس كأنها لا تستطيع الوثوق تماماً بملاحظات ماريان.

«عندما أخبرته باربرا بأنني قد التقطت ڤيروساً جاء ليطمئن علي و...»

«كان يجب أن يفعل ذلك!» أعلنت باربرا: «كان هو سبب انتقال هذا الڤيروس إليك بالدرجة أولى.»

«لست واثقة من أنني قد التقطته منه.»

تبادلت كارول وباربرا نظرة. وهزّت كل واحدة رأسها وببطء، ثم تبادلتا ابتسامة دافئة.

«أظنّ أننا تأخرنا كثيراً.» قالت باربرا لكارول متحدثة من طرف فمها.

«عندها كل العوارض.» قالت كارول موافقة.

«أخشى أن تكوني على حق.» أجابت باربرا بلطف.

«آه، لا.» بكت كارول، وهي تضغط بيديها على فمها. «قولي إنه ليس كذلك. إنها شابة وسريعة العطب.»

«إنه مثير للشفقة، وأية شفقة.»

«لا يسعني إلاّ أن أوافقك الرأي. ماريان ناعمة جداً بالنسبة لكريمر ادامس. إنني آمل أن يقدّرها.»

«لن يفعل.» تمتمت كارول، ثم قالت وهي تُعيد صوتها إلى طبيعته: «لكن لا أظن أنه يوجد رجل يقدّر المرأة تقديراً كاملاً.»

«ماذا عن آلن آلدا؟» سألت ماريان.

«ربما هو.»

«آه، طبعاً.» قالت كارول موافقة.

«إنه شيء لمثير للشفقة أن يتصرف الرجال بهذه الطريقة.»

«بعض الرجال.» أضافت ماريان.

مسحت كارول وباربرا عينيهما ووضعتا المحارم المستعملة على تلة الورق الصغيرة في وسط الدائرة.

قررن تجميع كل المحارم الورقية المستعملة ورميها في المرحاض، للتخلص من أحزانهن، ثم الإحتفال بالأشياء السعيدة في حياتهن.

أتت فكرة إقامة هذه الحفلة الصغيرة لماريان يوم جمعة موحش. كانت تشعر بالحزن من دون أصدقاء ففكّرت بالبحث عن قليل من التسلية البريئة. اتصلت بكارول وعلمت أنها لوحدها في عطلة نهاية الأسبوع؛ فقد ذهب زوجها إلى الصيد مع بعض الأصدقاء. فكرت باربرا أنها فكرة جيدة حيث أنها قد كسرت أطول أظافرها وهي بحاجة لمن يواسيها. كانت حفلة إثارة الشفقة، الشيء المطلوب لمساعدة ثلاث نسوة وحيدات في ليلة جمعة موحشة.

استفاقت ماريان صباح السبت وهي تشعر بألم قوي جداً في رأسها يبدو أن الشراب والأيس كريم قد اختلطا.

لو لم تكن تشعر بذلك الألم للاحظت أن شقتها غير مُدَفّأة. جهاز التدفئة فيها قد تعطّل من جديد. إنه يتعطل أحياناً في الصباح، لكنها تعالج الأمر حين تعود الآلة للحياة. وكان اليومان الماضيان من أيام تشرين الثاني الباردة.

تناولت رداءها وخفيها وهي ترتجف كطفل في مهب رياح كانون أول.

أعدت لنفسها كوب قهوة وتناولت حبتين من الأسبرين المقوي. كانت ترتجف وهي ترتدي الجينز وقميصاً قطنياً ومعطفاً شتوياً سميكاً. بدت كمن يتَحَضر للذهاب في رحلة إلى القطب الشمالي.

حاولت ماريان تشغيل جهاز التدفئة لكنها لم تفلح. فأحضرت مقلاة حديدية وراحت تضرب الجهاز لكنها لم تتلقَ إلاّ بعض الأصوات المزعجة من أنابيب فارغة وقد بدأ جسدها يرتعش كله.

«ماذا يحدث هناك؟» صرخ كريمر من الناحية الثانية للحائط لم ينتظر جوابها وذهب بعد ثانيتين إلى بابها، غاضباً ومُتوعّداً.

«ماذا... أين؟» كان يحمل مضرب بيسبول ودخل إلى شقتها مفتشاً في الداخل عمن قد تكون ماريان أعتبرتهم دخلاء.

«ليست عندي تدفئة.» قالت وهي تلف الوشاح حول أذنيها.

رفرف كريمر جفنيه. يبدو أنها أيقظته من نوم عميق. كان حافي القدمين ويرتدي سروال البيجاما مع قميص، لم

يكن مزرراً ويكشف عن صدر عضليّ واسع، مغطى بشعر أسود مجعّد.

«ما بالك؟ هل أنت ذاهبة إلى حفلة تنكرية؟»

«صدقني، هذه ليست حفلة. أنا أحاول أن أتدفأ فقط.» انخفض نظره نحو المقلاة الثقيلة التي كانت في يدها. «هل تنوين الطبخ على جهاز التدفئة؟»

«قد أفعل، لكنني لا أتوصل إلى إصلاحه. في حال أنك لم تلاحظ، فليس هناك أية تدفئة في المنزل.»

وضع كريمر المضرب جانباً وتوجه نحو جهاز التدفئة. «ما خطبه؟»

رجل يسأل أسئلة سخيفة! لو كانت ماريان تعلم الخطب، لما كانت واقفة ترتجف، والوشاح حول أذنيها مثل العلاج القديم لوجع الأسنان.

«وكيف لي أن أعرف؟» أجابته بتحدٍ.

«ماذا حصل هنا الليلة الماضية، على كل حال؟»

نظرت إلى المحارم الورقية وهزت كتفها. كان ينظر في كل أنحاء الغرفة وكأنها مسرح جريمة وأن عليه الحذر من عدم التَعَثُّر بالجثة.

التقط زجاجتي الشراب الفارغتين وهو يتمشى في الغرفة ورفعهما عالياً، متظاهراً بأنه قد صدم.

«مضحك جداً.» وضعت المقلاة أرضاً وأخذت منه زجاجتي الشراب والقتهما في سلة المهملات.

«أذن، أقمتِ حفلة ولم أكن مدعُوّاً؟» جعل سؤاله يبدو وكأنه تغيّب عن حدث السنة الاجتماعي.

تنهدت ماريان عالياً: «إذاً كان يجب أن تعلم فقد أقمنا كارول، باربرا وأنا حفلة إثارة الشفقة.»

«حفلة ماذا؟ أنت تمزحين، أليس كذلك؟» لم يكلف نفسه عناء إخفاء ابتسامته الساخرة.

«لا تشغل نفسك.» كان عليها أن تلاحظ أنه يسخر منها. «هل يمكنك التفكير بطريقة لإصلاح هذا الجهاز قبل موسم الثلج القادم؟»

«دعيني أحاول.» جثا أمام الجهاز وربت برفق على سطحه العلويّ. بدأ يعمل على إصلاحه وهو يتمتم وكأنه خيّال يكلم حصانه.

«لا أظن أن التحدث إلى آلة جامدة قد ينفع.» نصحته وهي واقفة خلفه.

«تريدين القيام بذلك؟»

«لا.» قالت متمتمة. كان يكفيها وجود كريمر في بيتها، في ثياب النوم. وحولت انتباهها إلى المنظر خارج النافذة. كانت ترى الأغصان الخضراء في حديقة فولنتير وتظاهرت انها تسرح في ذلك الجمال.

«أعتقد انني طلبت منك أن تبقي الباب موصداً من الداخل بإحكام. هذه ليست سياتل.»

«هل تعتقد حقاً أنه عليك أن تذكرني؟»

«هاك.» قال يعبر عن سروره: «كل ما يحتاج إليه هو القليل من الإهتمام والعناية.»

«شكراً.» قالت ماريان بارتياح.

«لا مشكلة، لكن في المرّة القادمة، إذا حدث شيء مماثل لا تحاولي إصلاحه بنفسك.»

«إذا ترجمت جملتك، فإنها تعني.» أنه يجب علي ألاّ اصلح الجهاز مرّة ثانية بينما تحاول أنت النوم.»

«صحيح.»

ابتسمت، إنه فعلاً رجلٌ سموح ورائع.

لم تكن قد رأته منذ اسبوع، أسبوع طويل، أسبوع موحش. حتى الآن، كانت تقريباً غير قادرة على الاعتراف بأنها تفتقده. واقفاً في الزاوية كما هو، كانت ماريان مندهشة كم وجدته جذاباً جداً. لم تكن وحدها مفتونة. فقد كان هو أيضاً يحدق بها. طال السكوت بينهما، وكان يطول لحظة بعد لحظة وهما ينظران إلى عيني بعضهما بعضاً.

«عليّ أن أذهب.» قال أخيراً وهو يشيح بنظرة عنها، نحو النافذة.

«أجل. أنا... أنا أفهم.» قالت وهي تخطو إلى الوراء. ثم رافقته إلى الباب: «أنا حقاً أقدرّ ذلك.» وقد بدأت تشعر بالدفء يملأ الشقة.

«فقط تذكري أن تبقي الباب موصداً.»

ابتسمت وحيّته بسخرية: «نعم، نعم، يا سيدي.»

غادر عندها. كانت ماريان تكره أن تراه يغادر، تكره أن تراه يتركها، ومع ذلك كان يفعل ذلك دائماً.

بعد ظهر ذلك اليوم نفسه، كانت ماريان تتمشى في الحديقة عندما سمعت صوتاً انثوياً ناعماً خلفها. كانت غلوريا ومعها شقيقتها التي تبلغ الثالثة من العمر.

«هذه أختي الصغرى كاتي، اللصقة.» قالت غلوريا.

«مرحباً، يا كاتي.» قالت ماريان مبتسمة

«لِمَ أنا لصقة؟» سألت كاتي وهي تنظر إلى أختها.

«لأنك تسألين كثيراً وتريدين البقاء معي حيثما أكون.»

«أراد إيدي أن أشاهده وهو يلعب مع السيد ادامس، واضطررت لإحضار كاتي لأنها تريد اللعب في الحديقة. لقد ضغطت عليّ أمي ولم استطع الرفض.»

«ها قد وصل السيد آدامز.» قالت غلوريا مبتهجة. ثم نظرت إلى أختها وتجهمت: «هيا، كاتي، علينا أن نسرع. يريدني إيدي أن أشاهده وهو يلعب.»

«لماذا؟»

تأوهت غلوريا. «هل تفهمين ما كنت أعني.»

«اذهبي أنت.» قالت ماريان وهي تمد يدها إلى كاتي. أطاعت الفتاة الصغيرة ووضعت يدها الصغيرة في يد ماريان وهي تبعد راضية عن شقيقتها.

«انظري.» صرخت كاتي بفرح: «ورقات.»

«أوراق.» قالت ماريان مصححة وهي تنحني لالتقاط ما استطاعت من أوراق الشجر ونثرها في الجو.

حملت ماريان الطفلة من خصرها وبدأت تؤرجحها بينما كانت كاتي تصرخ مبتهجة. اتكأت ماريان إلى شجرة كي تلتقط أنفاسها.

عندها لاحظت أن كريمر، في ملعب كرة السلة، قد أوقف اللعب ووقف وحيداً في الملعب يحملق بها.

ارتطم به شاب طويل القامة وتعثر كريمر. شهقت ماريان خشية أن يقع، لكنه سيطر على نفسه في آخر لحظة.

عادت غلوريا نحو ماريان وكاتي. «ظننت بأنك قلتي إنك والسيد ادامس صديقان فقط؟» قالت مازحة. كانت تبتسم

بطريقة ما، محاولة القول إن أحداً لن يسخر منها من جديد.

«كان على وشك أن يُهرس لأنه لم يستطع رفع عينيه عنك.»

انتهت المباراة وجاء كريمر ليجلس قرب ماريان. ارتمى على المقعد قربها وهو يلهث. «ماذا تفعلين هنا؟»

«كنت في الحديقة أتنزه.» أجابته: «لا تقلق، يا كريمر، لم أتبعك.»

«لم أظن ذلك.»

«إنك تبدين جميلة بالأزرق.» قال بصوت ابح ثم نحنح حلقه وكأنه لم يعن ما قال وأراد سحب كلماته.

«شكراً.» قميصها الأزرق كان المفضّل لديها. كانت قد ارتدت معطفها الصوفي وفوجئت كيف أنه لاحظ قميصها الأزرق تحت المعطف.

«مرحباً، كاتي.»

رفعت كاتي ذراعيها نحوه كي يحملها، وهذا ما فعله. عانقته الفتاة الصغيرة بسرعة ثم قفزت على المقعد وركضت نحو أختها وصديقها.

«أنت حسنة مع الصغار.»

«لقد أحببتهم دائماً.» لو لم تكن صحافية لكانت الآن معلمة في دور حضانة.

«كم سنة أضعت اليوم من حياتك؟» سألته ماريان بسخرية: «اثنتين أو ثلاثاً، على الأقل.»

ابتسم لها وكانت تلك الابتسامة النادرة التي كان يمنحها إياها في أوقات خاصة. كانت مقاومته لسحرها عند أضعف نقطة، وكلاهما كان يعلم ذلك.

كانت ماريان لا تزال خائفة من أن تتحرك أو تتكلم حتى

لا تفسد اللحظة. كانت عيناه دافئتين رقيقتين تحضنان عينيها. عندما حاولت التنفس بدا وكأن الهواء قد علق في رئتيها.

«ماريان.» لفظ اسمها بنبرة أقرب إلى الهمس.

«نعم؟»

مرر يده في شعره، ثم نظر بعيداً. «لا شيء. لا تهتمي.»

«ماذا هناك؟» أصرّت، رافضة أن تتخلى عن الموضوع.

نظرت ماريان إلى يدها شاعرة بخيبة أمل كبيرة. كان التوتر بينهما قوياً وخشيت ماريان الكلام حتى لا تزيد الوضع سوءاً.

«هاي، كريمر.» صرخ إيدي وهو يركض نحوهما. «ما بالك، يا رجل؟» ضحك ناقلاً الكرة من يدٍ إلى الأخرى. «كدت أن تخسر المباراة بسبب عدم قدرتك على رفع نظرك عن امرأتك.»

عبس كريمر في وجه الشاب. «هل تريد مباراة أخرى؟»

«في أي وقت تريد.»

«ليس اليوم.» أنزل كريمر كميه إلى ما تحت مرفقيه وهو يهزّ رأسه.

«حسناً.» قال إيدي بابتسامة واثقة: «لم أظن ذلك، وامرأتك هنا، وكل ذلك.»

«ماريان ليست امرأتي.» أعلمه كريمر وهو يعبس.

«حسناً.» أجاب إيدي: «يا صديقي، هذا أنا، إيدي: لا يمكنك خداعي! كدت تجنّ عندما رأيتها. لكنني لا ألومك. ليست سيئة. متى ستتزوجان؟»

الفصل التاسع

«لقد غيرّت رأيي.» أعلنت باربرا ساعة إغلاق المطعم مساء الاثنين.

سألت ماريان فيما كانت منشغلة بتعبئة الملح والبهار وعلب المحارم: «بشأن ماذا؟»

«أنت وكريمر.»

إن لم تكن باربرا قد لفتت انتباه ماريان من قبل، فقد لفتته الآن. كان كريمر قد غادر المطعم منذ أربعين دقيقة، بعد أن تناول طبقه المعتاد من التشيلي، وشرب القهوة. لم يتجاوز حديثه لماريان خلال الفترة التي مكثها في المطعم، كلمتين أو ثلاثاً. دفن وجهه في الجريدة فحسب، وتصرف وكأنها غير موجودة.

«ماذا عنّا؟» بقيت تعابيرها ثابتة لكن قلبها كان يخفق بشدّة.

«منذ ليلة حفلة إثارة الشفقة، حصل تغيير في رأيي. أنت نوع المرأة المناسب لكريمر. أنتما الإثنان... تناسبان بعضكما بعضاً. في البدء وافقت مع كارول. رأيي بكريمر ليس سلبياً مثل رأيها، لكن عليك أن تتذكري أن الإثنين يعملان، في صحيفتين متنافستين. في كل الأحوال، أنا أهتم بك. أنت حقاً رقيقة.»

أحست ماريان بكلمة رقيقة. فقد بدت صداقتها لها حلوة الطعم مثل العسل.

«والآن؟»

«لا أعلم ما سبب تغيير رأيي. بعضه كان من مراقبتي له. عندما كان جالساً هناك، ادركت شيئاً من مشاعره.»

«ماذا تعنين؟»

كانت ابتسامة باربرا عريضة بينما كانت تمسح الطاولة، بحركات بطيئة وكأن أفكارها تلهيها. «أنا أقسم أن هذا الرجل لم يستطع أن يرفع نظره عنك.»

اعترت الحيرة وجه ماريان. «عمَ تتكلمين؟ لم ينظر كريمر باتجاهي ولا مرة واحدة.»

«أوه، كان يلقي بنظرة كلّ مرّة كنت فيها قريبة منه، لكن وراء تلك النظرة رأيت انفعالات، لا أتذكر أنني رأيتها عنده من قبل.»

لم يستطع قلب ماريان أن يقرر هل يطير من الفرح أم يغرق في الشك. «أنت مخطئة، لم يتحدث معي إلا عندما طلب الطعام. كأنني آلة.»

«هذا ما يريدك أن تعتقدي.»

«كان يقرأ الجريدة.» قالت ماريان: «مثلما يقرأها كل يوم.»

«تصحيح.» قالت باربرا وهي تضحك: «كان يتظاهر بقراءتها، لكن عندما كنت لا تنظرين إليه، كانت عيناه تلاحقانك كالصقر.»

«أوه، باربرا، هل حقاً فعل ذلك؟» كان ذلك أكثر مما كانت

تحلم. لم يكلمها طوال الفترة الماضية، فقد تحاشاها طيلة الوقت.

«إنها ليست الطريقة التي كان يراقبك بها، فحسب.» قالت باربرا بعد تفكير عميق: «هل قرأت مقالاته في الأسبوعين الماضيين؟»

طبعاً، كانت ماريان قد فعلت، وكانت تتأثر أكثر كلما قرأت له مقالة. كانت موهبته وقوّة كتاباته خارقتين.

«لقد لاحظت مؤخراً شيئاً غير عادي في كتاباته.» تابعت باربرا: «لقد خفّت حدّة السخرية في مقالاته. وقد سمعت أحد زبائني يقول ذلك، لم أفكر كثير في الأمر، لكن إيدي على حق. لا أعلم ما الذي أحدث هذا التغيّر، لكنني أظن انه الحب. آه، أشك في وجود أمور كثيرة في هذه الحياة سوف تغير كريمر ادامس. سوف يبقى دائماً ذلك العنيد والمزاجي. هذا جزء من طبيعته. لكن اسمعي ما أقول، إنه مغرم.»

«لكنك قلت عنا قبلاً، إننا مختلفان لدرجة...»

«إنكما كذلك، أنت لطيفة ورقيقة وهو إنسان فظ. على الأقل هو يزعم أنه كذلك. أنت وأنا نعلم ذلك، لكن ليس الجميع.»

«و؟» قالت ماريان مستطردة.

«و، حسناً، أظن أنكما تناسبان بعضكما البعض تماماً.» بدا ذلك لماريان أيضاً.

«لقد سمعت، أليس كذلك؟» تمتمت باربرا فجأة، مُغيّرة موضوع الحديث.

هزّت ماريان رأسها. لقد عرفت أن المطعم سوف يغلق أبوابه بعد شهر بسبب التجديد.

«ماذا ستفعلين؟»

لم تكن ماريان تعلم بعد. «سوف أجد عملاً مؤقتاً، على ما أظن. ماذا عنك؟» عندها تكون قد باعت بعض مقالاتها التي قدّمتها، على الأقل لم يرفضها أحدٌ بعد. قد يتصلون بها قريباً.

«لست مهتمة كثيراً بأخذ شهر أو أكثر كعطلة.» أجابت باربرا بعد تفكير: «قد أستفيد من عطلة وخاصة ونحن على مقربة من الأعياد. كنت أفكر في البقاء بالمنزل وصنع بعض حلوى الميلاد، أقدمها هدايا السنة، إنني بارعة جداً في صنع الحلوى.»

«أظن أن علي البدء بالبحث عن عمل جديد.» كانت ماريان قد بدأت بالقلق على كيفية مواجهة المصاريف.

بعد نصف ساعة، كانت ماريان تنتظر الحافلة وتفكر في ما قالته لها باربرا. كانت قلقة بشأن اغلاق المطعم ولكنها كانت تحس بالبهجة لما قالته عن كريمر.

كان كريمر يشعر بشيء نحوها، شيء أقوى من أن يتجرأ ويفصح عنه.

فكّرت في أن تواجهه بالموضوع وارتسمت على فمها ابتسامة عندما تصوّرت ما قد تكون ردّة فعله.

قد ينفي كريمر ذلك، عالياً وبصراحة، وسوف يكون عليها أن ترد عليه بحجج قوية. ظهرت الابتسامة مجدداً على وجهها. كانت قد اتخذت قرارها.

شعرت بالبهجة واختلست نظرة إلى الشارع، كانت متلهفة لوصول الحافلة حتى تعود إلى المنزل. أوّل شيء كانت

تنوي أن تفعله هو التوجه إلى منزل كريمر وتسأله عن الحقيقة. إذا حاول تجاهلها، كما فعل دائماً، فعندها الحل المناسب لذلك تماماً.

سوف تعانقه.

قد يُخمد العناق احتجاجاته بطريقة فعّالة. أحست ماريان نفسها تذوب لمجرّد التفكير بالموضوع. أن يعانقها كريمر، ويضمها بين ذراعيه هو كالسير عبر أبواب جنة غير مُكْتَشَفة.

كادت ماريان تصفّق من فرط سعادتها لهذه الأفكار، عندما وصل الباص. انتهت الرحلة سريعاً وهرعت ماريان بسرعة وصلت الحافلة إلى داخل المبنى متلهفة لرؤية كريمر.

هرعت إلى بابه ودقت بعد أن أخذت نفساً عميقاً. لا جواب. حاولت مرة أخرى لكن بقوة هذه المرّة.

«من هناك؟» صرخ كريمر من الطرف الثاني.

«ماريان. أريد أن أكلّمك.»

«أنا منشغل.»

خاب أملها قليلاً. «لن يستغرق ذلك أكثر من دقيقة.»

فتح الباب بقوة. وقف كريمر أمامها مرتدياً بذلة سوداء وربطة عنق بيضاء، ويبدو أنيقاً جداً لدرجة أنه فاجأها.

«نعم؟» أجابها.

«مرحباً، يا كريمر.» قالت مُدركة أن مهمتها قد فشلت. لا شيء كان ليؤثر بها بهذا العمق كرؤيته بهذه الأناقة. لأن ذلك كان يعني أنّه على موعد.

«مرحباً.» قال عابساً وهو يرتّب سترته وينتظر منها أن تقول شيئاً.

«هل أنت خارج؟»

تجهّم. «لا أرتدي هذه الثياب للذهاب إلى السينما.»

«لا، لا أظن أنك تفعل ذلك.»

«هل أردت شيئاً؟

كانت واثقة من أنها تقوم بالشيء الصائب، لكن عندما رأته مرتدياً هكذا، خانها الكلام.

لم تستطع منع نفسها من التساؤل إلى أين هو ذاهب... مع من.

ألقى نظرة على ساعته. «كم سيستغرق ذلك؟» سأل ببرودة: «من المفترض أن أقابل پرودانس بعد خمس عشرة دقيقة.»

«پرودانس؟» القساوة التي علت وجهه نتيجة عدم صبره، لفتت انتباهها. پرودانس، كرر عقلها الكلمة. قال الإسم وكأنه يرمي بقنبلة يدوية في وجهها. من كانت تلك المرأة؟

وبسرعة البرق، علمت ماريان. كل ما كان عليها أن تفعل هو أن لا تضحك وأن تخبره بأن تلك الخطّة لن تنجح. إن موعداً وهمياً لن يجعلها تغار.

لم يكن على موعد مع امرأة تدعى پرودانس. أو لو توجب عليه اختلاق اسم، أقل ما يمكن أن يقوم به هو اختلاق اسم أفضل بقليل من پرودانس.

تذكرت ماريان أنه كان قد دُعي لإلقاء خطاب في ندوة في غرفة التجارة. من كان يظن أنه يخدع؟

كان ينوي إقناعها بأنه على موعد مع امرأة أخرى لكن ذلك لم ينجح.

«لم يكن مهماً...» قالت: «لقد سببت أجهزة التدفئة بعض المشكلات عندي في الصباح، لكنني سوف أتدبر أمري. أنا أيضاً أنوي الخروج الليلة.»

التقت عيونهما. «حفلة أخرى لإثارة الشفقة؟»

«ليس هذه المرّة.» فكرت في أن تقول له إنها على موعد مع شخص لكن ذلك قد يبدو مبالغاً فيه. «قد نذهب، باربرا وأنا إلى السينما.»

«يبدو ذلك مسلياً.»

«أنا واثقة أنه سيكون كذلك.» ابتسمت له هي أيضاً. «أتمنى أن تقضي وقتاً مسلياً مع... پرودانس.» قالت ذلك مع ابتسامة.

عادت إلى شقتها وهي تحاول أن تمنع نفسها من الضحك. لقد أثبت كريمر أنه كل ما ظنت به. كان جباناً... على الأقل عندما يتعلق الأمر بالحب.

مصابة بخيبة أمل، مشت ماريان ببطء إلى غرفة الجلوس وغرقت في الأريكة تحاول أن تجمع أفكارها. سمعت بعد عشر دقائق، فيما كانت مستغرقة في التأمل، صوت باب شقة كريمر يفتح ويغلق، انتصبت على الفور وهي تتساءل فيما إذا كان قد غيّر رأيه. لقد بدا أنه توقف قليلاً عند باب شقتها ثم عَدَل عما كان ينوي القيام به.

اتصلت بها باربرا بعد وقت قصير، لتعتذر عن ذهابها معها إلى السينما، فقضت ماريان سهرتها بمشاهدة البرامج المتلفزة وأكل البيتزا الباردة.

يبدو أنها كانت نائمة نوماً عميقاً، لعدة ساعات عندما ايقظها رنين مفاجيء. قفزت عن الأريكة وتعثرت وهي تستدير قبل أن تدرك أن الرنين كان صادراً عن الهاتف. وهرعت عبر الغرفة.

قبل أن يتسنى لها قول أية كلمة ترحيب، سمعت صوت والدها وهو يصرخ من الجهة الثانية.

«أين أنت بحق الجحيم؟»

«مرحباً، يا أبي.» قالت وقلبها يغوص: «كيف حالك أنت؟»

«أريد أن أعلم أين تعيشين، وأريد أن أعلم ذلك الآن!»

«اعذرني، ماذا قلت؟» سألت، لتضيع الوقت. من الواضح أن والدها قد اكتشف خداعها.

«لقد تكلمت مع رئيس التحرير في السياتل ريفيو هذا الصباح وأخبرني أنك تركت العمل هناك منذ أسابيع. أريد أن أعرف الآن، ما هي السخافات التي كنت تخبرينها لأمك ولي، كل هذه المدة عن تلك المهمة الخاصة»

«أوه...» كانت ماريان قد استفاقت جيداً وعلمت أن والدها ليس بمزاج يسمح له بسماع الأعذار.

«لقد كذبت علينا، يا فتاة.»

«ليس تماماً...» توقفت باحثة عن الكلمات المناسبة.

«لقد أقلقتنا حتى الموت. حاولنا الإتصال بك طيلة بعد الظهر، أين كنت؟ ومن هو كريمر ادامس هذا؟»

«كريمر ادامس؟»

«لقد ذكرت أمك اسمه وعندما تكلمت مع الجريدة،

أخبرتني امرأة تدعى... كارول ريفر ساید أن سبب ما يحدث هو غلطته.»

«أبي، اسمعني، إن الموضوع معقّد، لذلك أظنّ...»

«لا أريد أعذاراً، أريد وقائع. لقد قرّرت العمل في الطرف الآخر من البلاد. ضد إرادتي، وقد رتبت لك عملاً ووعدت بعدم التدخل، وانظري أين أوصلني ذلك! أن تخذلينا بـ...»

«أبي، إهدأ، أرجوك.»

بدا وكأنه يقوم بمجهود حتى يهدىء نفسه، ويعود الفضل في ذلك لأمها. كانت ماريان تسمعها وهي تناقشه بنعومة من الخلف.

«هل المدعو كريمر هو المسؤول عن كل ما حدث؟»

«حسناً، نعم.» قالت ماريان معترفة. لكنها لا تستطيع أن تلقي كل اللوم عليه: «تركي للجريدة كان قراري...»

«أين تقيمين؟»

كان ذلك أحد الأسئلة التي تمنت ماريان تجنبها: «لقد استأجرت شقة.»

«لكنك كنت تقيمين في شقة. وسياتل ذات سمعة ممتازة.»

«أجل، يا أبي، أعلم ذلك، لكن تغيير السكن كان مهماً جداً.» لم تكن تريد تضليله، لكنها لو أخبرته بأنها لم تعد تستطيع تحمل إيجار تلك الشقة لسألها عن السبب.

«هذا لا يفسر شيئاً.» قال دانيال سمبسون صارخاً.

أبعدت ماريان السماعة عن أذنها وتنهدت بقوة. الشيء الوحيد المعقدّ كان حبها لكريمر.

«أنا أصرّ على أن تخبريني ما يجري.» تذكرت صوت والدها، عندما كان يؤنبها وهي طفلة.

حاولت من جديد: «ليس سهلاً تفسير ما يحدث.»

«لديك ثلاث دقائق، أيتها الشابة، لتقولي لي لِمَ كذبت على والديك.»

«أنا أعتذر لأنني كذبت عليكما.»

«أنا أطالب بمعرفة سبب تركك العمل في الجريدة!»

«لقد سبق وشرحت ذلك. لقد حصلت على عمل آخر.»

«من الواضح أنك تقومين بعمل تخجلين به لدرجة عدم إخبارنا عنه.»

«لا أشعر بالخجل! إنه ليس عملاً غير شرعي. علاوة على ذلك، أنا أحب ما أفعل، وقد تدبرت أمري لكي أعيش مما أجني وهو ليس بالقليل. أنا سعيدة، يا أبي، سعيدة حقاً.»

حاولت إضافة بعض الحماس على نبرة صوتها، لكنها للأسف لم تنجح تماماً. كم تمنت في هذه اللحظة أن تتبجح ببيع مقالاتها.

«إذا كنت حقاً سعيدة بما تفعلين، إذن لماذا يبدو صوتك وكأنك مغتاظة؟» قالت أمها بعد أن دخلت على الخط الثاني.

«أنا... أنا بخير، إنني حقاً بخير.»

«نوعاً ما، يا حبيبتي، لا يبدو ذلك صحيحاً.»

«لا يعجبني هذا الأمر.» تدخّل والدها بنفاد صبر: «لقد أخطأت بتدبيري ذلك العمل لك في سياتل. الأفضل لك أن تتركي ما تفعلين، وتنتقلي مجدداً للعيش في...»

«أبي، أرفض أن أستقيل الآن.»

«أريدك أن تعودي إلى المنزل. أظن أن لديك الكثير لتفسيره لنا.»

«أبي، أحبك أنت وأمي كثيراً، وأظن أن الأفضل لنا جميعاً

التوقف عن الحديث بهذا الموضوع. سوف أتصل بكما غداً صباحاً.»

«ماريان... ماريان، لا تتجرئي و...»

لم تسمح له بإنهاء حديثه، لأنها تعلم أن الحديث معه لا يجدي عندما يكون بهذه الحالة. كان قلبها مثقلاً بالندم عندما أقفلت الخط. كانت تعلم أن والدها سيعاود الاتصال لذلك وضعت السماعة جانباً.

الآن وقد اكتشفت عائلتها أنها لا تعمل في الريفيو، فقد تسهل الأمور.

ارتدت ثياب النوم وهي تفكر بما حدث، واندست في السرير. كانت تفتقد صوت آلة كريمر الكاتبة.

لم يكن في المنزل ذلك المساء. كان يلقي خطاباً وقد حاولت ماريان تصوّره واقفاً وسط جمهور غفير. كم كانت ستستمتع لو كانت واحدة من المستمعين إليه! هي تعلم من دون شك أن نظراته كانت ستبحث عنها...

بدلاً من ذلك، أمضت السهرة وحيدة. معترفة بأنها كانت تنتظر سماع صوت كريمر وهو عائد إلى شقته.

استفاقت في السادسة صباحاً على صوت آلة كريمر.

ارتدت رداءها وانتعلت خفيها السميكين وأخذت تروح وتجيء وعقلها يدور بسرعة إعصار.

عندما لم تعد تستطيع تحمّل ذلك، دقت على الحائط الذي يفصلهما.

«طباعتك أيقظتني!» وكان ذلك طبعاً غير صحيح. لكنها أمضت ليلة طويلة وهي تفكر به، وكان ذلك عذراً كافياً.

لقد عرف أهلها أنها تركت عملها، والجحيم سوف يتفجر من حولها. كان الوقت يداهمهما هي وكريمر. وإذا كان عليها أن تفعل شيئاً حيال ذلك، من الواضح أنه يجب ذلك، فالأفضل لها أن تفعله عاجلاً.

«عودي إلى السرير.» صرخ كريمر.

«ليس مقابل حياتك، يا كريمر ادامس!» وقبل أن تسأل إذا كان من الحكمة أن تواجهه الآن، خرجت من الباب، من دون تغيير ثيابها. وتوجهت إلى منزله وقرعت الباب بقوّة.

فتح كريمر الباب على الفور، كان لا يزال مرتدياً البذلة السوداء منذ ليلة أمس لكن من دون ربطة العنق والسترة. كان كمّا قميصه مرفوعين وثلاثة من الأزرار مفتوحة. بدا عليه أنه لم ينم بعد.

«ماذا الآن؟» سألها: «هل تنفسي عالٍ جداً؟»

«علينا أن نتكلم.» قالت بهدوء وتوجهت إلى داخل الشقة.

بقي كريمر واقفاً قرب الباب. وقال هازئاً من تصرفها: «لماذا لا تدخلي وتعتبري نفسك في بيتك؟»

«لقد فعلت.» جلست على طرف الأريكة وانتظرت حتى يوجه نظره نحوها. «إذاً؟» سألت بسخرية: «كيف كان موعدك البارحة؟»

«حسن.» قال عابساً: «حسن جداً.»

«أين ذهبت للعشاء؟ الـ فور سيزونز؟ أو فولرز؟» سمّت أفضل مطعمين في المدينة. «في المناسبة، هل أعرف پرودانس؟»

«كلا.» أجابها بنفاد صبر.

«ظننت ذلك.»

«ماريان...»

«لا أظن أن عندك قهوة جاهزة؟»

«إنها جاهزة.» لكنه لم يقدم لها منها. بما أنه كان ما يزال واقفاً على الباب يعني أنه أرادها أن تغادر منزله. لكن ماريان كانت تعلم كيف تتعامل مع كريمر.

«شكراً، سوف أحضر كوباً لنفسي.» دخلت إلى المطبخ ووجدت كوبين نظيفين. «هل تريد واحداً؟»

«عندي القليل.» قال ووقف على باب المطبخ. «ماريان، أنا مشغول، لو كنت تستطيعين البدء بـ...»

«والدي يعلم.» قالت بهدوء وهي تنتظر ردة فعله لكنه لم يحرك ساكناً وبدا مستعداً للتخلي عنها.

«إذن؟» سألت. «قل شيئاً.»

«ماذا أخبرته؟»

«لا شيء عنك، لا تقلق. لقد ذكرتك لوالدتي، لكن لا تقلق بشأن ذلك أيضاً. هي تظن أننا... لا تهتم.»

«ماذا يعرف والدك؟» سألها كريمر بإلحاح.

أخذت رشفة من الكوب وهزت كتفيها.

«إكتشف أنني لم أكن في مهمة خاصة.»

«مهمة خاصة؟ وما علاقة ذلك بأي شيء؟»

«هذا ما أخبرت أمي به عندما غيرت مسكني.»

«ولماذا تخبرينها شيئاً كهذا؟»

«كانت تتوقع مني أن أرسل لها مقالاتي بالبريد وأن أتصل بها كل يوم. لم أكن أستطيع متابعة القيام بذلك. كان علي اختلاق بعض الأعذار.»

«كان بإمكانك أن تجرّبي قول الحقيقة.»

«علم أبي أنني غيرت سكني ويريدني أن أعود للعيش في الساحل الشرقي.»

«هل تريدين العودة؟» كان سؤال كريمر عادياً كأن جوابها لا يهمه.

«كلا.»

«لِمَ لا؟» عاد ليفقد صبره من جديد: «بالله عليك، يا آني، هلا استمعت للمنطق؟ أنت لا تنتمين إلى هنا. لقد أثبت وجهة نظرك. إذا كنت تنتظرين أن أعترف بأنني كنت مخطئاً بشأنك، سوف أفعل ذلك وبطيبة خاطر. لقد تدبّرت أمرك جيداً حتى الآن، لكن حان الوقت لتتابعي حياتك. آن الأوان لكي تعودي إلى العالم الذي تنتمين إليه.»

«لا أستطيع فعل ذلك الآن.»

«لمَ لا بحق السماء؟.»

«لأنني... قد وقعت.»

«يا إلهي، آني، إنها السابعة تقريباً وعلي العودة للعمل.» قال فجأة مقاطعاً إياها: «أليس من المفترض أن ترتدي ملابسك. التجوّل هكذا هنا ليس حكيماً، قد يظن الناس بك شيئاً.»

«فليظنّوا.»

احتقن وجهه بسرعة وهو يهز رأسه.

«كريمر.» قالت ماريان بهدوء: «أنا أعلم أنك لم تخرج مع أحدٍ يدعى پرودانس لقد اختلقت كل ذلك. هذه الأشياء لن تنجح معي. لقد فات الأوان. أنا... الآن مغرمة بك.»

لم يقل كريمر أية كلمة. ثم رفع يده كأنه يتعرض لهجوم، وتراجع من المطبخ.

«لا يمكنك أن تقعي في حبي.» قال بعزم وهو يجلس ببطء على الأريكة، وكأنه رجل متعب جداً: «لن أسمح بذلك.» حتى

الفصل العاشر

«لسوء الحظ لقد فات الأوان.» قالت له ماريان مجدداً بهدوء: «لقد وقعت في حبك.»

«لحظة من فضلك.» قال كريمر وهو يعدل جلسته: «أنت طفلة طيبة وكي أكون صريحاً، لقد تأثرت كثيراً...»

«أنا لست طفلة، وأنت تعلم ذلك.»

«آني... ماريان، اسمعيني. ما تشعرين به نحوي ليس حباً.» كانت تعلو وجهه مرارة لم ترها من قبل. تقدم نحوها، أمسكها من كتفيها ونظر إليها.

«وهذا لن ينجح أيضاً.» قالت بنفس الصوت الهادىء: «أنا أعلم بماذا أشعر.»

لفت ذراعيها حول عنقه ووقفت على أطراف أصابعها محاولة إقناعه بصدقها.

حاول كريمر تجنب الاتصال.

«هل أنت خائف من عناقي؟»

«أنت على حق أنا كذلك.» قال وهو يدفن يديه في جيبيه ويبتعد عنها.

ابتسمت ماريان برقة. «لقد نجحت في إخفاء مشاعرك من قبل وكدت أصدقك.»

لقد غلّف شعوره تجاهها وراء قناع الأستياء وسمح لها بالاعتقاد بانها مصدر إزعاج له. كان عليه أن يخبىء

شعوره نحوها ـ ليمنعها من معرفة ما أدركه الجميع.

كان كريمر مغرماً بها.

«أنا أحبك بصدق ولا شيء مما يقوله أهلي قد يغيّر رأيي.»

«ماريان، أرجوكِ...»

حاول أن يبعدها كلامياً أيضاً لكنه فشل. هذه المرة لن تسمح له. اقتربت منه، رمت ذراعيها حول خصره واحتضنته بقوة.

رفع يديه نحو كتفيها، لإبعادها عنه لكنه لم يستطع.

«هذا سخيف.» سمعته يتمتم، ثم دفن رأسه في شعرها. وضعت ماريان أذنها على صدره وابتسمت لانتصارها عندما سمعت نبضات قلبه المتسارعة.

«لم يكن عليك السماح لي بضمك هكذا.» كان صوته خافتاً: «قولي لي أن لا أفعل.» تنفس بصوت مسموع وهو يعانقها.

«لا أريدك أن تتوقف...» أدارت رأسها نحوه، متوسلةً له.

«آني، أرجوك.»

«أريد أن أكون بين ذراعيك أكثر من أي مكان آخر. أكثر من أي شيء.»

«أنت لا تعنين ما تقولين...»

وضعت أصابعها على فمه وقالت: «أنا إمرأة ناضجة، وأعلم ما أريد من دون شك.»

ما أراده كان عناقها. استطاعت قراءة ذلك في عينيه، لكنه كان يحاول منع نفسه.

«أنت تعقدين الأمور وتجعلين الصحيح يبدو صعباً.»

«الشيء الصحيح هو أننا نحب بعضنا.»

«أود تصديق ذلك، لكنني لا أستطيع.» وضع يديه على خديها ومررهما على وجهها.

«أحبك.» قالت هامسة وهي تبتسم له. كانت مستعدة لقول ذلك ألف مرة إذا كان ذلك سيقنعه.

وضعت يديها على صدره ورفعت رأسها. منذ لحظات كان ليدفعها عنه لكن ليس هذه المرة. أغمض عينيه برفق. إنه يخسر المعركة.

أفكار عديدة مرت ببالها. مشاريع للمستقبل.

«كريمر...»

«لن ينجح الأمر، أنت وأنا معاً... ليس صحيحاً.» قال هامساً.

«إنه صحيح أكثر من أي شيء آخر عرفته. هل تعرف بماذا أفكر؟ عندما يتحابان، رجل وإمرأة بهذه الطريقة، هما عادة...» توقفت لبرهة: «... يتزوجان.»

«ماذا؟» قال كريمر وكأنه ينفجر، مبتعداً عنها وكأنه تعرّض لصدمة كهربائية.

«لقد سمعتني.» قالت له.

«أنت امرأة مجنونة، تعلمين ذلك، أليس كذلك؟» ابتعد كريمر عنها وبدأ يجول مسرعاً في الغرفة.

«كان الزواج مجرد اقتراح.» قالت بأسى: «لكنني مع ذلك جادة. فإذا كنت موافق علينا الاسراع قبل أن يشتمّ والدي الخبر.»

«ليست عندي أية نية حتى في التفكير بالموضوع! أظن أنه حان وقت رحيلك.»

«كريمر، حسناً، أنا آسفة. لم يكن علي ذكر الزواج. أملت فقط بأن تكون أنت أيضاً تريد ذلك، لا حاجة للمبالغة في التصرف.» رافقها كريمر إلى الباب.

«إننا بحاجة للتحدث حول هذا الموضوع.» قالت بإصرار.

«آه، لا، ليس عليك ذلك.» قال وهو يفتح الباب: «تفكيرك في هذا الموضوع لا يناسبني.»

«ماريان!» جاء صوت والدها من خلفها وكأنه الرعد.

استدارت ماريان إلى الخلف لتجد والديها واقفين في الممر خارج شقتها.

«أمي... أبي...» نظرت إلى كريمر آملة بأن يفسر هو الوضع.

«السيد والسيدة سمبسون.» قال كريمر بأدب. تقدم إلى الأمام ومدّ يده إلى والدها. «أنا كريمر ادامس.»

«كيف حالك.» قالت موريال سمبسون عندما تصافح الرجلان. تحول نظر الأم من الرجلين إلى ماريان، وتفحصتها بنظرة واحدة.

حتى تلك اللحظة، كانت ماريان قد نسيت أنها ترتدي ثياب النوم.

«صاموئيل.» قالت أمها بصوت المصدوم: «إنها تخرج من... شقته.»

«ليس الأمر كما يبدو لكما.» أسرعت ماريان بالتفسير. «أمي وأبي، أرجوكما، عليكما الإستماع إليّ. لم أقضِ الليلة في شقة كريمر، أقسم. لقد حصل معنا عارض هذا الصباح وبدل الصراخ من خلف الحائط و...»

«صاموئيل.» مدت والدتها يدها إلى ذراع والدها. وتعلقت به. «أشعر بدوار.»

أمسك صاموئيل بزوجته وبمساعدة كريمر أدخلاها إلى منزل كريمر حيث كان الباب مفتوحاً.

جثت ماريان بجانب والدتها لقد أرهقها القلق على ابنتها وهذا ما زاد من شعور ماريان بالندم.

«ابنتي الصغيرة بأمان، وهذا ما يهم.» همست موريال.

«إسمع، أيها الشاب.» قال والد ماريان: «عندكما الكثير من التفسيرات لإعطائنا.»

«أبي، أرجوك.» قفزت ماريان واقفة. «أنا أحب هذا الرجل.»

«سيدي، أعلم أن الظروف تبدو سيئة، لكنني أستطيع التأكيد لك بأن لا شيء بيني وبين ابنتك.»

«ماذا تعني بأن لا شيء بيننا؟» صرخت ماريان في وجهه بغضب. لقد أنتهت لتوها من تقديم قلبها له. كان عليه على الأقل أن يقول إنه يبادلها الشعور نفسه. «هذه كذبة.» أعلنت لوالدها بينما كان كريمر يتمتم خلفها.

«ماريان.» قال كريمر وهو يصر أسنانه: «والداك يظنان الأسوأ. ألا تظنين أنه من اللائق أكثر أن تخبريهما بأن...»

«لا يهمني ما يظنان. حسناً، يهمني طبعاً.» صححت كلامها بسرعة: «ما يهمني هو توضيح الأمور بينك وبيني.»

«ماريان، أرجوك.» رجتها أمها وهي ممسكة بيدها: «لقد قلقنا كثيراً عليك، والدك وأنا.»

«لم تجب على الهاتف.» تمتم صاموئيل وهو يوجه نظرة

نحوهما: «لو قضت ماريان ليلتها في الشقة، كما ادعت، لكانت رفعت السماعة. لقد حاولنا حوالي العشرين مرة الإتصال بها. لو كانت في المنزل، فلماذا لم تجب إذن؟»

بدا السؤال وكأنه موجه إلى كريمر، لكن ماريان هي التي أجابت: «لقد فصلت الخط.»

«هذا يكفي أيتها الشابة. سوف تعودين معنا إلى المنزل.»

«لا يمكنكما إجباري على ترك سياتل. أنا أرفض.»

«لماذا تودين العيش هنا؟ لماذا رفضت كل ما أعطيناك؟»

«الجواب واضح.» قال والدها: «تريد العيش هنا حتى تكون بقربه.»

«لكن لماذا لم... ينتقل صديقها للعيش في المبنى حيث كانت تعيش؟»

«أليس واضحاً؟ لا يستطيع كريمر تحمل مصاريف السكنى في تلك البناية.» ثم استدرك الأمر وهز رأسه معتذراً لكريمر: «لم أقصد إهانتك. أنت إنسان طيب، لكن بصراحة...»

«لا يهمني أين يعيش المهم أن أكون بقربه. هل تتذكرين يا أمي ماذا أخبرتني عن والدي وعنك؟ إنه موهوب و...»

«هذا يكفي.» قاطع كريمر فجأة، إذا كنتم تبحثون عن واحد ما للومه على سكنى ماريان هنا وعملها في المامز بلايس...»

«ما هذا المامز بلايس؟»

«إنه مطعم صغير وجميل.» قالت ماريان بسرعة: «تقدم فيه وجبات سريعة وعندنا لائحة طعام محدودة جداً.»

أطلقت والدتها صرخة: «أنت تعملين... أنت تعملين نادلة؟»

هزت ماريان رأسها بالإيجاب: «لكنني أكتب أيضاً. صحيح أنني لم أبع أياً من مقالاتي، لكن الوقت لا يزال باكراً لذلك.»

«كان عليك إخباري بأنهم لا يعرفون انك تعملين نادلة.» تمتم كريمر بين أسنانه.

«لِمَ فضلت العمل كنادلة عن العمل في الجريدة؟» بدا من الصعب عليه أن يسأل.

«إنه عمل شريف، يا أبي. ولا أفهم لماذا تتصرفان بهذه الطريقة. إنكما تجعلان الأمر يبدو وكأني جلبت العار للعائلة.»

«أخشى أن أكون البادىء بذلك.» قال كريمر مقاطعاً: «لقد كتبت عن آني، كنت سيء الحظ لأنني تخطيت الحدود في بعض ما كتبت، لكن...»

«لم يكتب كريمر شيئاً غير صحيح.» قالت ماريان: «لقد جعلني أتوقف وأفكر بمسار حياتي، وقد قررت أن الوقت قد حان لأثبت أنني قادرة على الاتكال على نفسي.»

«بالتخلي عن عائلتك!»

«لم أفعل ذلك أبداً، يا أبي.»

بدا والدها مهزوماً. بدا هو وزوجته غير قادرين على التصديق بأن ابنتهما قد فعلت ذلك بهما.

«فعلت ذلك لسبب آخر، أيضاً.» حدّق الثلاثة بها وكأنهم يظنون بأنها فقدت عقلها. «لقد تعرفت إلى كريمر والتقينا على العشاء واكتشفت حينها كم أنني معجبة به.» نظرت إلى

الرجل المعني بالموضوع ورأته يعبس وينظر إليها بطريقة ما وكأنه يحاول إسكاتها. «أنا آسفة، أمي وأبي. كنت أكره الكذب عليكما لكنني لم أجد طريقة أخرى. لم أشأ إقلاقكما.» قالت وتقدمت نحو كريمر ولفت ذراعيها حول خصره: «أنا أنتمي إلى هنا مع كريمر.» ها قد قالت ذلك: «لن أعود معكما إلى نيويورك.»

«ماريان، يا حبيبتي، لا يمكنك متابعة العيش على هذا النحو!»

«لدي حياة رائعة.»

«هل تحبين هذا الرجل؟»

«أجل، يا أبي، أحبه، لدرجة أنني سأخذلك للمرة أولى في حياتي.»

حول والدها نظره ببطء إلى كريمر: «ماذا عنك، أيها الشاب؟ ماذا تشعر نحو ابنتي؟»

كان كريمر ساكتاً لفترة طويلة ولم يجب على السؤال. لم تعد ماريان تتحمل ذلك فقالت: «إنه يحبني. قد لا يريد الاعتراف بذلك، لكنه يحبني.»

تابع والدها النظر إلى كريمر: «هل هذا صحيح؟»

«لسوء الحظ.» قال وهو يبعد ذراعي ماريان عنه: «أنا لا أبادلها الشعور. لقد ربيت ابنة رائعة، لكنني لا أحبها، بالقدر الذي تستحقه.»

«كريمر!» خرج اسمه بصرخة غضب: «لا تكذب. ليس الآن، ليس على عائلتي.»

أمسكها من ذراعيها ووجهه شاحب خال من التعبير. بحثت عن عينيه علها تجد ما يخفف من المها.

«أنت رائعة وموهوبة، وسوف تجعلين رجلاً ما فخوراً جداً يوماً ما، لكنه لن يكون أنا.»

«كريمر. توقف عن هذا. أنت تحبني لكنك مخجول من وجود أبي. ألا تعلم أن المال لا يهمني؟»

«نادراً ما يعني شيئاً للذين يملكونه. جدِ لنفسك زوجاً ثرياً وكوني سعيدة.»

وجدت كلماته مهينة جداً. «لن أكون سعيدة من دونك. أنا أرفض أن أكون سعيدة.»

«بلى، سوف تكونين سعيدة. أقترح أن تذهبي مع عائلتك وأن تعيشي معهم الآن.»

كل كلمة منه كانت كالركلة في المعدة. كل واحدة مؤذية أكثر من سابقتها.

«أنت لا تعني ما تقول.»

«اللعنة، يا ماريان.» قال ببرود: «لا تعقدي الأمور أكثر مما هي عليه. إننا لا ننتمي إلى بعضنا. لم نكن كذلك أبداً. أنا أعيش في عالم، وأنت تعيشين في عالم آخر. كنت أقول لك ذلك منذ البداية لكنك لم تستمعي إليّ.»

«يا حبيبتي.» قالت أمها: «أرجوك تعالي معنا. صديقك على حق، أنت لا تنتمين إلى هذا المكان.»

«هذا غير صحيح. أنا هنا الآن. وسوف أبقى.»

«ماريان، بحق السماء، هلا استمعت إلى أهلك؟» قال كريمر بصوت عالٍ. «ماذا ستفعلين عندما يغلق المطعم للتصليحات؟»

«عودي إلى البيت، يا حبيبتي.» قالت أمها راجية.

حملقت غير قادرة على الكلام. لم تكن لتغادر لو قام

كريمر بأية حركة يطلب منها البقاء، لكنه بقي صامتاً.

استدارت وعادت إلى شقتها. وانضم إليها والداها بعد عدة دقائق.

«ليس علي أن أعطيهم إشعاراً بأنني سأترك العمل لكنني سأبقى حتى يقفل المطعم أبوابه. لا أريد أن أتسبب بنقص في العمال.»

«طبعاً.» أجابت أمها بنعومة ثم اقترحت: «إن أردت، أبقى معك هنا في سياتل.»

رفضت ماريان بحركة من رأسها وهي تحاول أن تخفي كم آلمها رفض كريمر لها: «سوف أكون بخير.» توقفت ثم استدارت إلى عائلتها: «أنه حقاً إنسان رائع. إلا أنه خائف من الوقوع في الحب، خاصة مع شخص مثلي. عندي كل ما ليس عنده، ثقافة، ثراء، والأهم من ذلك، أهل يحبونني كثيراً.»

لم تعلم ماريان أنه من الممكن أن يزحف الأسبوعان الأخيران ببطء كهذا، لكن أخيراً جاء آخر يوم لها في العمل.

«ما أن تقع عيناي عليه، أقسم أنني سألقنه درساً لن ينساه.» أعلنت باربرا ويدها على خصرها.

لم يكن كريمر قد تناول طعامه هناك منذ الأسبوعين الماضيين. ذلك لم يدهش ماريان؛ في الواقع، لكانت صدمت لو قرر الظهور.

«يجب أن تكوني واثقة، هل تسمعين؟ كريمر ادامس لديه الكثير ليواجهه.» قالت باربرا. سوف أشتاق إليك يا فتاة، هل حقاً عليك الذهاب؟»

«أنا واثقة.» همست ماريان وهي تحاول حبس دموعها.

«أظن أنك على حق. لهذا أنا غاضبة جداً من كريمر.»

«ليست الغلطة كلها غلطته.» لم تكن ماريان قد أخبرت أحداً عن التفاصيل المحرجة التي أدت إلى ذهابها إلى منزل ذويها.

ضحكتا وتعانقتا. كانتا قد أصبحتا صديقتين حميمتين برغم فترة عملهما القصيرة معاً.

عندما وصلت إلى المنزل، كانت الشقة مظلمة. كان المكان مليئاً بصناديق الكرتون. كان توضيب أغراضها قد انتهى. اتصلت بسيارة أجرة حتى يقلها إلى المطار حتى تتمكن من اللحاق بطائرة نيويورك.

في الصباح التالي، كانت ماريان تحمل الصناديق من غرفة الجلوس وتكدسها في الممر عندما سمعت صوت باب كريمر. تراجعت إلى داخل شقتها بسرعة.

«ماذا تفعلين؟» قال وهو يتبعها إلى الداخل.

«إني أنتقل من هنا.» أجابته بسرعة: «هذا ما أعتقد أنك أردته.»

«إذن أتركي هذا لعمال النقل.»

«أنا بخير، يا كريمر.» كيف يمكنها أن تكون بخير وقلبها مُحطّم؟

«أظن أن هذا وداع، إذن.» تفرس في كل أرجاء الشقة ولكنه لم ينظر إليها.

«نعم، سوف أكون قد ذهبت عندما تعود بعد الظهر.» رسمت ابتسامة مرتجفة على شفتيها وهي تنفض الغبار عن راحتيها. «سررت بمعرفتك.»

«وأنا أيضاً.» قال بنعومة.

«قد أخبر أولادي يوماً ما أنني عرفت كريمر ادامس المشهور عندما كان يكتب في السياتل صن. لكن هؤلاء أولاد لن يكونوا...»

«أتمنى لك الأفضل دائماً.»

لم تجب وطال الصمت بينهما، متشنجاً وغريباً.

«إذن.» قالت أخيراً وهي تتنهد: «سوف تدعني أذهب حقاً.»

«نعم.» قال بلا تردد، لكنها لاحظت أن فمه ضاق وأصبح مشدوداً.

«سوف أفعل ما طلبته مني، وأغادر سياتل. سوف أرحل من دون النظر إلى الوراء. لن أنظر إلى الوراء ولا حتى مرة واحدة.» رددت والكلام يخرج من حنجرتها بصعوبة. انتظرت دقيقة حتى تستجمع نفسها: «سوف تندم يوماً على هذا، يا كريمر. سوف تفكر بذلك وتتمنى لو استطعت حل الموضوع بطريقة أخرى. ألا تعلم أنك لن تندم على ما فعلت، بل على ما لم تفعل؟»

«أني...»

«لا، دعني أنهي كلامي. لقد أردت الحديث وسوف أنهيه. أقل ما يمكنك فعله، هو الإصغاء لي من دون مقاطعة.»

أغمض عينيه وهز رأسه.

«لقد قررت أن أسكنك.»

«ماذا؟»

«هذا صحيح. لن تذهب إلى مطعم إلا وتراني فيه. سوف أكون في كل زاوية. سوف أتبعك في كل الشوارع. وسوف

تنسى كيف يمكنك التمتع بصحن تشيلي.» كان صوتها يرتجف.

«لم أقصد أبداً جرحك.»

استدارت فجأة عنه، وهي تمسح دموعها بكلتا يديها.

«كوني سعيدة يا آني.»

سوف تحاول. ليس من شيء آخر تفعله.

الفصل الحادي عشر

«هل كانت لديك فرصة لإلقاء نظرة على تلك المنشورات؟» سألت موريال ماريان بعد مرور أسبوعين. كانتا تجلسان إلى طاولة الفطور وترتشفان القهوة.

«كنت أفكر بأنه يجب أن أعثر على عمل آخر.» كان عليها أن تفعل، إما ذلك، أو قضاء بقية حياتها منكبّة على كتب الطبخ. بعض الناس يسافرون لمداواة قلب مجروح، والبعض الآخر يعملون، لكن ليس ماريان. لم تكتب كلمة واحدة منذ وصولها من سياتل، ولا حتى كلمة واحدة.

«لكن، يا عزيزتي، أوروبا رائعة في مثل هذا الوقت من السنة.»

«أنا آسفة، يا أمي، لا أقصد أن أكون جاحدة، لكنني لا أفكر بالسفر في الوقت الحالي.»

«ماريان، لا يمكنك قضاء بقية حياتك في صنع الحلوى.»

«أعلم، أعلم. إذا تابعت على هذا المنوال فسوف أصبح سمينة جداً.»

ضحكت أمها. «كلانا نعلم أن هذا ليس صحيحاً. إنك تفقدين بعض الوزن.» ترددت قليلاً قبل المتابعة: «وأنت ساكتة وهادئة كثيراً.»

كانت تعود إلى نفسها دائماً، عندما تشعر بالألم، وتحاول جاهدة عدم التفكير بكريمر. ولكن كما قالت أمها،

www.rewity.com Dalyia

عليها أن تخرج من المطبخ إلى العالم الخارجي. قد تبدأ بالكتابة قريباً. ربما توجد مجلة للطباخين، قد يكون ذلك مكاناً جيداً للبدء من جديد، على الأقل حتى تستعيد حماسها.

«ألا يزال الأمر مؤلماً لهذه الدرجة.» كان الجميع يحاولون تجنب هذا الموضوع لكن ماريان كانت سعيدة جداً لأن أمها فتحت هذا الحديث.

«كنت أتمنى لو أنك وأبي عرفتماه بقدر ما عرفته أنا. إنّه تناقض؛ قاس وواثق جداً من الخارج، رقيق ولينّ من الداخل.»

«تبدين وكأنك تصفين والدك.»

«كريمر يشبه أبي كثيراً. لديه مبادىء وفخر. مستقّل حتى الخطأ. لم ألاحظ ذلك في البداية، فقط مؤخراً.» ضحكت بنعومة. «لم يغضبني أحد كما فعل كريمر.» لقد عادت لها الحياة بين ذراعيه كما تتفتح وردة برية في الربيع.

«كان يقودني إلى الجنون بسبب عناده. كان يعبس بي ويتمتم، كان دائم التمتمة. كان ينظر إليّ ويصرّ بأنني لست سوى متاعب.»

«هناك شخص آخر لك، يا حبيبتي، سوف يحبك قدر ما تحبينه.»

ارتسمت فوق شفتي موريان ابتسامة مريرة.

«كريمر يحبني. أنا أعلم ذلك، في قلبي. لقد صدقته عندما قال بأنه لا يحبني، لكنه كان يكذب. كان قد أُغرم قبلاً، منذ وقت طويل وقد تأذى كثيراً.» قالت بنعومة: «إنه يخشى أن يحدث معه ذلك مرّة ثانية. ما عقّد الأمور أكثر هو كوني

ابنة صاموئيل سمبسون. لو لم أكن كذلك، لكان تخلى عن مخاوفه واعترف.»

«إنّه هو الخاسر.»

لم يكن كريمر الخاسر الوحيد. «أدرك ذلك ولكنني لا أظن أن ذلك قد ينفع بشيء.»

كانت أمها صامتة.

«أمي، أنت تعلمين.» قالت ماريان وهي نفسها قد اندهشت في حماسها: «قد لا أودّ الذهاب إلى باريس، لكن يوم تبضّع في في محلات ماسيز قد ينفعني جداً. سوف نبدأ من الطابق العلوي نزولاً إلى الطابق الأرضي.»

أمضت الإثنتان بعد ظهر رائع في التبضع للميلاد. وصلتا إلى البيت ساعة الغداء متعبتين لكن سعيدتان.

«أين كان الجميع بعد دوام المدرسة؟» كان مارك الابن الأكبر يتذمّر. «لقد كان يوماً سيئاً.»

«ماذا حدث؟» توجهت الأنظار إليه. تنهد مارك. «إنها تلك الفتاة... سوزي جونسون. مارك يحوم حولها.»

تجاهله مارك: «إنني أحاول أن ألفت انتباهها منذ وقت طويل.»

بعد لحظات كان الجميع يضحكون.

دقّ جرس الباب وتبادل والدا ماريان نظرة قصيرة.

«سوف تفتح بينيت الباب.» قال صاموئيل قبل أن يقفز الفتيان عن كرسييهما.

ظهرت بينيت خلال دقيقتين وهمست بشيء لوالد ماريان الذي اعتذر من الموجودين وخرج من غرفة الطعام.

تابعت ماريان مزحها مع إخوتها حتى سمعت أصوات عالية صادرة من الطرف الآخر من المنزل. بدا أحد الأصوات غاضباً، مدافعاً، ولم يكن من الصعب على ماريان التعرف عليه.

كريمر.

خفق قلبها قليلاً وبسرعة، من دون تردّد لفت فوطتها وتوجهت نحو الباب.

كان كريمر واقفاً في المدخل، مرتدياً معطفه المعتاد.

أحسّت ماريان بالضعف عندما رأته. لاحظت أشياء لم تلاحظها من قبل. أشياء صغيرة جعلتها تدرك كم هي محبة، وكم كانت حياتها فارغة بعيداً عنه.

«لقد شرحت ذلك منذ لحظات.» قال والدها. تمالك صاموئيل نفسه للمحافظة على مزاجه الأسطوري ولكن بصعوبة.

أظهرت ملامح كريمر بعض التشكيك. بدا مُتعباً، لاحظت ماريان ذلك وكأنه كان يقضي الليل يعمل بدل أن ينام.

«هل حقاً تظنّ أنني سوف أصدقك؟»

«أنت محق، أنا أظنّ ذلك.» قال والد ماريان.

«ماذا يجري هنا؟» سألت وهي تتقدم، بدا صوتها همساً. كانت تواجه صعوبة في تقبّل الواقع، وهو وجود كريمر في منزل والديها في نيويورك. لكن على ما يبدو لم تكن تلك زيارة ودّية.

«لقد اختير عمودي في الجريدة على صعيد وطني.» قال كريمر مفسّراً ونظره متجه نحوها.

«ألا يقول لك ذلك شيئاً، لأنه يجب ذلك!»

لم تستطع ماريان إخفاء سعادتها. «لكن، يا كريمر، هذا رائع. ما الخطب في ذلك؟ أظنّ أنّه هدف قد رسمته لنفسك.»

«ليس قبل عدّة سنوات.»

«إذن يجب أن تكون سعيداً جداً.»

«ليس عندما يكون مدبّراً من قبل والدك.»

قبل أن تتمكن ماريان من النظر إلى والدها للتأكد من ذلك، أنكر هذا الأخير.

«أقول لك، يا بنيّ، ليس لي يد في ذلك.» التقى نظر ماريان بنظر والدها، والصدق البادي في عينيه أقنعها بأنه يقول الحقيقة. كانت تفتح فمها لتعلّق على الموضوع عندما تابع كريمر.

«لا أظن أنه كان لك الحق أيضاً في القيام بأي شيء بالنسبة لبيع روايتي.» قال بسخرية.

هز صاموئيل سمبسون رأسه: «بحق السماء، يا رجل، لم أكن أعلم أنك تؤلف رواية.»

«بيع كتابك؟» شهقت ماريان: «أوه كريمر، كنت أعلم أنّه سيباع. القليل الذي قرأته كان رائعاً. كانت الفكرة ممتازة لقد استطعت منع نفسي بصعوبة من عدم قراءة المزيد.» كان عليها مقاومة الاغراء بعدم رمي ذراعيها حول عنقه وأن تفرح معه.

«لقد حصلت على مال أكثر مما كنت أحلم أن أرى في حياتي.» أضاف وقد قسا صوته من التحدي. مع أنه كان يتحدث إلى صاموئيل، إلا أن نظره كان مركزاً على ماريان... نظرات يملأها الفرح الذي لا يستطيع اخفاءه.

«أوه، يا كريمر، لا يمكن أن أكون أسعد من الآن.» كان قلبها مليئاً بالسعادة لدرجة أنه كاد ينفجر.

«هل حقاً تتوقع مني تصديق أنك لم تكن وراء ذلك؟» سأل كريمر مرّة أخرى.

«نعم.» أجاب صاموئيل سمبسون بنفاد صبر: «ما هو السبب الذي يحملني على دفع مسيرة مهنتك، أيها الشاب؟»

«بسبب ماريان، طبعاً.»

«ماذا؟» لم تكن ماريان تصدّق ما تسمع: «إنه كلام سخيف. إنه هراء.»

«يحاول والدك أن يشتري لك زوجاً.» قال كريمر. ثم استدار نحو صاموئيل: «لقد أغضبني ذلك لأن ماريان ليست بحاجة لمساعدتك في هذا الموضوع.»

بدت نظرة صاموئيل وكأنها تطلب من كريمر أن يغادر المنزل.

وقفت ماريان في مواجهة كريمر ويداها على خصرها. «ثق بي، يا كريمر، لو كان أبي يريد شراء زوج لي، لما كنت أنت! ليس لأبي أي شأن بنجاحك. حتى لو فعل، فماذا يهم؟ لقد أوضحت قبل الآن أنك لا تريد أي شيء له علاقة بي.»

جوابه الوحيد كان الصمت.

«ربما أكون قد تكلمت قليلاً... بتسرّع عن عدم حبي لك.» قال كريمر بصوت أجش.

طَرَى صاموئيل حنجرته وهو يتمتم شيئاً عن تركهما يتحدثان وترك الغرفة في الحال.

«كنت على حق.» قال متمتماً، كما يفعل دائماً كأنها قامت بشيء أغضبه.

«بأي شأن؟»

«بشأن كل شيء. أحبك. السماء تعلم أنني حاولت ألا أفعل.»

أغمضت ماريان عينيها، متلذذة بالكلمات التي لم تتوقع سماعها منه. كان قلبها يخفق بقوّة حتى أن رأسها بدأ يدور.

«هل هو شيء فظيع لهذه الدرجة؟» سألت: «أن تحبّني؟»

«كلاّ... نعم.»

«عندما بدأ كل شيء يتغير في حياتي، اعتقدت أن لوالدك شأناً في ذلك.»

«هل حقاً ظننت ذلك؟» سألت وفي صوتها بعض الشكّ.

اخفض كريمر نظره. لا، أعتقد انني لم أصدق انه فعلاً له شأن في بيع كتابي. وإختيار عمودي في الجريدة على صعيد وطني فاجأني. لفترة وجيزة حاولت إقناع نفسي بأن عائلتك وراء كل ذلك لكنني كنت أعلم بأن ذلك ليس صحيحاً. لقد حدث لي ما تنبأت به، لقد سكنتني، يا آني. كل مرّة كنت أنظر فيها حولي، أقسم أنك كنت هناك. لم أفتقد أحداً في حياتي كما افتقدتك.»

اغرورقت عيناها بالدموع. «هذا أجمل شيء قلته لي حتى الآن.»

«حاولت القول لنفسي إن والدك كان يودّ شراء زوج لك. أعني أنا. فكري بالأمر، يا آني. لقد دبّر لك ذلك العمل في الريفيو، وعلى حد علمي أظنّ أنه نذر نفسه ليحقق لك كلّ ما تريدين.»

«أظنّ أنني أثبت خلاف ذلك.» قالت: «لقد حاول والدي أن لا يدللنا كثيراً. كنت آمل بأن أقنعك بذلك.»

«لقد فعلت.» دس يديه في جيبي معطفه. «أعتقد أن ما أحاول قوله هو إذا كان والدك يرحب بي في العائلة، فأنا سأكون أكثر من سعيد لأن آخذك من يديه.»

«سعيد لأن تأخذني من يديه، هذا لطف.» أجابت ماريان بحدة، واستياء. كانت تنتظر موقفاً عاطفياً منه وهو يعترف بحبه لها، وأن تصدر الكلمات عن قلبه. لكن بدل ذلك أتت كلماته مهينة.

«لا تبتئسي.» قال والابتسامة تعلو شفتيه: «حسبما فهمت الموضوع.» تابع: «أنت بحاجة لأحد...»

استدارت ماريان مبتعدة عنه لتعلمه أن نقاشه لن يجدي.

«حسناً.» قال وأمسكها من يدها مجبراً إياها على الاستدارة من جديد ومواجهته. «أنا بحاجة لأحد ما.»

«أحد ما؟»

«أنت!» أنهى كلامه بابتسامة.

«أنت تتقدم. تابع.»

«لم يبد أي شيء صحيحاً بعد أن غادرت. كانت هناك تلك الفجوة في داخلي التي لم أستطع ملؤهما. لم يعد العمل يرضيني. لم يعد يرضيني أي شيء. غلوريا وإيدي لم ينفكا يسألانني عنك ولم أكن أعرف بماذا أجيب. كنت ممتناً لأن مامز بلايس كان مغلقاً لأنني لم أستطع الطعام هناك.»

كانت تأمل أن تسمع بعض الكلام العاطفي منه لكنه لم يفعل.

«تريدني أن أعود إلى سياتل حتى لا أعود أسكنك بعد ذلك.» قالت أخيراً.

«لا، أريدك أن تعودي لأنني أحبك.»

«وأنت بحاجة لي؟»

هزّ رأسه إيجاباً: «ما زلت أظن أن بإمكانك فعل شيء أفضل من الزواج من رجل عجوز مثلي. أعدك بأن أكون زوجاً صالحاً، هذا إذا، كنت مستعدة للزواج مني...» جعل كل شيء آخر يتلاشى. اتسعت عيناها وهو يضمها ببطء نحوه. «هل... تقبلين؟»

ابتسمت، وتجمعت دموع ساخنة في زوايا عينيها. هزت رأسها بسرعة. «أجل. آه، أيها الأحمق. قد أصفعك لأنك عرضتنا لكل هذا.»

«هل يصلح العناق ما حدث؟»

«أظنّ ذلك، فقط...»

وسكنت الأفكار. عانقها طويلاً. قال كل الكلمات الرقيقة، وكل الجمل العاطفية التي لم تسمعها من قبل. وكانت كافية.

أكثر من كافية، لتدوم العمر كلّه.

تمت